وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف
University of Chadli Ben djedid El-Tarf
كلية الآداب واللغات
Faculty of Letters and Languages
قسم اللغة والأدب العربي
Department of Language and Arabic literature

عادات وتقاليد المحفل السوفي
- جمع ودراسة -

مذكرة مكملة من مستلزمات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة:
خولة فائزي

إشراف الدكتورة:
مفيدة بن وناس

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ وناسة كحيلي	أستاذة محاضرة – ب–	جامعة الطارف	رئيسا
د/ مفيدة بن وناس	أستاذة محاضرة – أ–	جامعة الطارف	مشرفا ومقررا
أ/ عبد الحميد طريفه	أستاذ مساعد – أ–	جامعة الطارف	مناقشا

السنة الجامعية: 1441 -1442هـ

2019-2020م

﴿الحَمْدُ لله اِلْذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِير﴾ سورة سبا الآية1

وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله﴾ سورة النحل الآية 53

شـــكر وتقـــدير

الحمد لله الذي جعل الشكر مفتاحاً لذكره، والصلاة على خير خلقه نبيه الصادق الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغُر الميامين.

أشكر الله عز وجل، وأحمده حمدا يليق بجلاله ووجهه الكريم وسلطانه العظيم أن وفقنا إلى إنجاز هذه الدراسة.

فقد روى أبو داود والترميذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من لا يشكر النَّاس لا يشكر الله"، وعليه فإن واجب العرف يدعوني أن أتوجه بالشكر والعرفان محبة محبة واعترافا اعترافا ثم مليار محبة واعتراف إلى أستاذتي الفاضلة"مفيدة بن وناس" لتفضلها بالإشراف على هذا البحث، وعلى ما قدمته لي من توجيهات ونصائح وإرشادات متمنية لها دوام الصحة والعافية والتوفيق لخدمة العلم وأهله.

كما أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني وتقديري إلى أعضاء اللجنة المناقشة الكرام، لتحملهم عناء قراءة هذه المذكرة وتدقيقها وتصويبها لترى النور، فجزآهم الله عنا خير الجزاء.

والشكر يتواصل بصدق ومحبة ووفاء إلى كل من قدم لي نصيحة أو أشار علي بفكرة فأنا مدينة لهم بفضلهم، وأسال الله العلي القدير أن يجعله عملاً زكياً ثقيلاً بالحسنات يرجح له ميزانهم يوم اللقاء، إنه نعم المجازي وله الفضل والثواب.

خـوله فائزي

مقدمة

إن دراسة الماضي هي التي تمكننا من فهم الحاضر، لأن فهم الماضي لا يدل فقط على إحيائه بقدر ما يدل على إبراز القواعد المتينة التي يمكن البناء عليها لفهم مختلف الظواهر الاجتماعية فتستمد من سمات الماضي لبناء الحاضر والمستقبل وهذا ما يعطي حيوية وصيرورة لدواليب الحياة، وخير دليل لدراسة الماضي التراث الشعبي، وشعبية الشيء لا تعني اتصافه بالابتذال إنما تعني الانتشار والذيوع والتداول بين كل أطياف الشعب، فعادات الشعوب وتقاليدها وكل نتاجاته الفكرية والمادية المتوارثة عن الأجداد ملك له لأنها نابعة من وجدانه قريبة منه مشاركا فيها سواء المنتج أو المتلقي.

فالأدب الشعبي يعتبر شكلا من أشكال التعبير الإنساني الشفاهي لكل المراحل الزمنية للمجتمعات، فهو يجمع تجارب الشعب وإبداعاته وتأملاته وخبراته المتراكمة جيلا بعد جيل ويحميها من الضياع والانحلال في ثقافات وهويات خارجية، فهو ينبع من داخل الشعب ليعبر عن أحاسيسه ومشاعره في كل جوانب حياته من أفراح وأحزان، بما تحمله من رموز ودلالات عميقة في حركات المجتمع وسكناته.

وتعد المحافل الشعبية برقصاتها وأغانيها من أهم الأشكال الشعبية التعبيرية تعبر عن واقع الجماعة الشعبية يصور آلامها وطموحاتها، فهي مرآة عاكسة لحياة الشعوب وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، التي تعتبر تتويجاً لخبرات الإنسان وتفاعله مع بيئته وكل ما يحيط حوله.

ولكل بيئة عادات وتقاليد خاصة بها حسب الظروف الطبيعة كمناطق الصحراء بالجنوب الشرقي للجزائر، ومنها وادي سوف التي تتميز بموقع استراتجي جعل منها أرضًا خصبة لشتى مظاهر الثقافة الشعبية منها المحفل السوفي، مما يحمله من دلالات فكرية واجتماعية وثقافية تعبر عن الخصوصية المحلية للمجتمع السوفي، وما يتخلله من عادات وتقاليد توارثها سكان المنطقة من أجدادهم وأسلافهم.

ومن هنا جاء الاهتمام بموضوع البحث والوقوف على أهم العادات والتقاليد الخاصة بالمحفل السوفي وأبرز رقصاته وأغانيه واللباس التقليدي لهذه الاحتفالية، وعليه كان عنوان مذكرتي:

"**عادات وتقاليد المحفل السوفي –جمع ودراسة–**"

ومن هنا سجلت سبب اختياري لهذا الموضوع بين دوافع ذاتية وأخرى موضوعية.

فالذاتية تتمثل في:

–انتمائي لمنطقة غنية بالتراث الشعبي، والرغبة في التعرف والتقرب أكثر من المجتمع السوفي المرتبط بالعادات والتقاليد الخاصة بالاحتفالات في المحفل السوفي.

–الميول الشخصية لاكتشاف ما تزخر به الذاكرة الشعبية من أغاني وأهازيج شعبية.

–الرغبة الشديدة في وضع بصمة وإدراج اسمي بمرجع يكون أرشيفا في المكاتب المختلفة ويكون للاستفادة منه، أو حتى للاطلاع عن بعض من الموروثات الشعبية.

أما الموضوعية فتتمثل في:

–الدافع الأكاديمي، وهو مبتغى كل باحث يسعى للوصول إلى الحقيقة والنتيجة العلمية الصحيحة.

–إرساء أسس ثقافية صلبة لمنع الزحف السريع للعولمة، وهدم قيم وعادات وتقاليد المجتمعات وخصوصيتهم.

–الأهمية الشديدة للموروث الشعبي الذي تزخر به منطقتنا الذي توارثه الخلف من السلف.

ومنه فالإشكالية الرئيسية للبحث يمكن صياغتها على النحو التالي: ما هو المحفل السوفي؟ وما هي عاداته وتقاليده؟ وكيف يقام هذا المحفل في هذه المنطقة؟.

بالإضافة إلى أسئلة فرعية أهمها: ما هو مفهوم العادات والتقاليد؟ وما هي السمات الرئيسية لكل منهما؟ وفيما يكمن الفرق بين كل من العادة والتقليد؟ وما هو مفهوم الاحتفال؟ وما هي علاقته بالفرجة؟.

ولحل هذه الإشكالية انتهجنا الخطة المكونة من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة كالتالي:

مقدمة فكانت بمثابة هيكلة عامة لموضوع البحث أشرت فيها إلى أهم دوافع اختياري لدراسة الموضوع، والإشكالية المطروحة والمنهج المتبع مرفقة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها ذاكرين أبرز الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجاز البحث.

أما الفصل التمهيدي بعنوان التعريف بمنطقة الدراسة تطرقنا فيه إلى النقاط التالية: وادي سوف جغرافيا وتاريخيا، واجتماعيا واقتصاديا، ودينيا وثقافيا.

أما الفصل الأول المعنون بـ: التأصيل المفاهيمي للمصطلحات، حيث تناولنا فيه مفهوم العادات والتقاليد الشعبية وخصائص وأنواع كل منها وأهم الفروق بينها، وكذلك مفهوم الاحتفالات وخصائصها، والاحتفال في الذاكرة الشعبية وبعض من الاحتفالات بمنطقة سوف، ومفهوم الفرجة الشعبية وأهميتها.

والفصل الثاني كان لدراسة التحليلية للمحفل السوفي، تعرضنا فيه لمفهوم المحفل السوفي وعناصره وأبرز المناسبات التي تقام فيه.

وأخيرا خاتمة التي حاولنا من خلالها بلورة وتلخيص أهم النتائج المرجوة من هذا البحث.

كما أرفقت البحث بملاحق وهي: ملحق الرواة، ملحق لخرائط وادي سوف، ملحق ضم بعض الصور خاصة لمنطقة سوف، وقائمة مصادر ومراجع معتمدة لإثراء البحث.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لإلقاء الضوء على العادات والتقاليد السائدة في المجتمع السوفي الخاصة بالمحفل وطريقة الاحتفال، إلى جانب منهج البحث الميداني ولمعالجة الموضوع اعتمدنا على الجملة من المصادر والمراجع أهمها:

الفولكلور (النظرية، المنهج، التطبيق) لأحمد زغب.

العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر لإسعد فايزة زرهوني.

الصروف تاريخ الصحراء وسوف لإبراهيم محمد الساسي العوامر.

المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى التجاني مياطة.

واعتمدت في جمع مدونة البحث على الروايات الشفوية من سكان المنطقة رغم قلتها.

كما لا يخلو أي جهد بشري من العقبات والمطبات التي تحُول دون بلوغ الكمال، غير أن الرغبة الملّحة في بلوغ الغاية والمتعة في اكتشاف ثراء التراث الشعبي بمختلف عاداته وتقاليده المتعلقة بالمحفل السوفي، جعلنا نستمر في هذا العمل، ورغم ذلك صادفتنا بعض الصعوبات ولعل أشدها وأصعبها:

-صعوبة إجراء مقابلات مع الرواة والحصول على المعلومات منهم والاستفادة من تجاربهم وذلك بسبب الوضع الراهن للبلاد وانتشار الفيروس المستجد كوفئيد19، وكذلك ندرة الأبحاث التي تخص الموضوع.

ورغم ذلك فإننا سعينا جاهدين لتقليل من هذه الصعوبات، وبعون الله تعالي استطعت القضاء على البعض منها.

ولا يسعني في الختام إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر وكثير الثناء لكل من وقف مساندا لي لينجز هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذتي الفاضلة "مفيدة بن وناس" على إشرافها لمذكرتي وتحملت معي أعباء البحث ولم تبخلني بتوجيهاتها ونصائحها، كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل على تكرمهم لقراءة بحثي وتوجيههم للملاحظات النقدية العلمية، متمنية أن يكون جهدي هذا بذرة تكبر وتنتج شجرة من الدراسات والبحوث لثقافة الشعبية، وأرجو من الله التوفيق والسداد.

الفـــصـــــل التـــــمـــهيـــــدي:

التـــعـــريف بـــمنطـــقـــــة الـــدراســـــة (وادي سوف)

أولاً: الإطار الجغرافي لمنطقة سوف:

1- الموقع الجغرافي

2- أصل التسمية

3 - الخصائص الطبيعية

ثانياً: الإطار التاريخي لمنطقة سوف:

1 -قبل الإسلام

2 -العصر الإسلامي

3 – نسب سكان وادي سوف

4 -العهد العثماني والاحتلال الفرنسي

ثالثاً: الإطار الاجتماعي والاقتصادي

1 -النظام الاجتماعي في مجتمع وادي سوف

2 -النشاط الاقتصادي

رابعاً: الإطار الديني والثقافي:

1 –الدين في المجتمع السوفي

2 –اللهجة السوفية

3-الأدب الشعبي في وادي سوف.

كان الناس سابقاً يتصورون الصحراء فضاء مسطحاً تغطيه الرمال بصفة منتظمة، لكن اعترفوا حديثاً أن الصحراء تحوي أيضاً سهولاً وأودية وجبالاً تشكل في أغلب الأحيان من صخور فظة، ولمن يريد دراسة الصحراء مثلما كان يتصورها الناس قديماً عليه بمنطقة وادي سوف، فهذه المنطقة يتشكل سطح الأرض فيها من طبقة لا متناهية من الرمال تختلط معها تشكيلات جيولوجية أخرى[1].

وتعتبر وادي سوف منطقة ذات أهمية إستراتجية للعبور وتقاطع الثقافات المختلفة، وكذلك منطقة تجارية وفلاحيه بامتياز بالرغم من الطبيعة الصحراوية القاسية.

أولاً: الإطار الجغرافي:

1- الموقع الجغرافي: تقع وادي سوف في الجنوب الشرقي من الصحراء الجزائرية، بين خطي عرض ْ33 ْ34 شمالاً، وما بين خطي طول ْ6- ْ8 شرقاً تقريباُ، وبأبعاد تمتد من الحدود التونسية شرقاٌ إلى واحات وادي ريغ غرباً على مسافة تقدر بـ 160كلم، ومن الحمراية شمالاً إلى غدامس جنوباً على مسافة 600كلم تقريباً، يحدها شمالاً "بسكرة" و"خنشلة"، أما شرقاً الحدود التونسية "أرض الجريد"، بمعنى توزور ونفطة وغيرها، وجنوباً الحدود الليبية "واحات غدامس"، وغرباً وادي ريغ "المغير وجامعة وحاسي مسعود[2]"، أما المساحة الإجمالية لوادي سوف فتقدر بحوالي 44.585كلم2[3].

2-أصل التسمية: كلمة "وادي سوف" مركبة من كلمتين "وادي" و"سوف"، وهي تمثل اليوم المركز الإداري للولاية وتعددت الروايات لأصل التسمية منها:

-سمي بالوادي، لأنه محل جريان الوادي بين "وادي الجبل" و"وادي النازية"، لأنهما كان يجريان قرب بعض الأماكن من سوف مثل سيدي عون والبهيمة (حساني عبد الكريم حالياً)، ومن مزاعم

[1] -جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ترجمة: عبد القادر ميهي، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، ط1، 2016م، ص09.

[2] - بن علي محمد الصالح، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية -أكثر من 2600 مثل وحكمة شعبية سوفية-، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، ط1، 2012م، ص11.

[3] - الوادي ملكة الرمال الذهبية ، محافظة المهرجان الثقافي المحلي للثقافات والفنون الشعبية لولاية الوادي، ، د ط، د ت، ص04.

بعض العامة أنه سمي بذلك لأن أهله لا يهدؤون ولا يسكنون، بل يتحركون دائما أما بالسفر أو الرحيل فشبهوهم بجريان الماء في محله المسمى واديا، أهله يتميزون بالنشاط والحيوية، كما تتسم حياتهم بالتنقل التجاري. ومن ألغاز أهل سوف قولهم:"واد ما يجريش، كانون ما يقديش، وبهيمة ما تمشيش" فقصدوا بكلمة "واد" مدينة الوادي، و"كانون" قرية كونين، و"قمرة" بلدة قمار، و"بهيمة" قرية البيهمة[1].

-وقيل هذه التسمية أتت من شخص، حين رأى طرود وكثرتهم وعدم انقطاعهم في السير فقال: ما أرى هؤلاء القوم انقطاعاً، إن هم إلا كالوادي كلما أقبل منه موج إلا وتلاوه موج آخر[2].

-وقيل أن قبيلة طرود لمّا دخلت هذه الأرض وشاهدت كيف تسوق الرياح التراب في هذه المنطقة، قالوا: إن تراب هذه الجهة يشبه الوادي في الجريان[3].

-وكانت أرض سوف في القديم تسمى الظاهرة، قال القدماء: سميت بذلك، لأنها أول قطعة من الأرض ظهرت بعد نفطة حين انحصر عنها ماء الطوفان، ثم صارت تسمى أرض سوف، قيل لأنها كانت محلاً لأهل الصوفة فكل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة فيها.

-وقيل سميت بذلك، لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لانعدام المنسوجات عندهم، وقيل كان بها رجل عليم، أي صاحب حكمة يسمى "ذا السوف" فسميت هذه الأرض به فالسوف تعني الحكمة والمعرفة.

-وقيل أن أهل سوف حين دخلت العرب إفريقيا، وسوف التي ذكرها هي المكان المعروف الآن بسوف البصرة بقرب مدينة حلب الشام، فلعلهم أتوا إلى هذه الأرض فسميت بهم.

-وقيل سميت بمسوفة فرقة الملثمين من البربر، فابن خلدون أفاد أنهم مروا بهذه الأرض زمن فسميت بهم[4].

---

[1] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، ثالة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د ط، 2007م، ص109.

[2] - المرجع نفسه، ص110.

[3] - مفكرة نهاية القرن العشرين (1999-2000م)، فكرة وإعداد المطبعة العصرية، الوادي، الجزائر، د ط، د ت، ص14.

[4] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص42.

-ويقال أن كلمة "سوف" بربرية، وتقابلها في اللغة العربية كلمة "واد" وتعني النهر أو الوادي ويتعلق الأمر بهذه الحالة بنهر قديم غير مرئي، لكن يجري على عمق قليل، وهو يمنح الحياة لعدد كبير من النخيل ولا يستعمل الناس كلمة سوف حالياً تحت هذا الشكل، ونجدها أيضاً لأسماء المواقع الجغرافية التارقية "سوف ملان"، ويعني هذا الاسم "النهر الأبيض"، وكان يطلق عليها "إسوف" أو "أسوف" و"أسيف" مازالت تستعمل في بلاد القبائل إلى يومنا هذا[1].

3-الخصائص الطبيعة لوادي سوف:

أ-طبيعة الأرض: الرمل في سوف هو سيد الطبيعة[2]، فكانت أرض سوف بساطاً مفرشاً من الرمل وبها شطوط وأحقاف قليلة، قال صاحب كتاب تغريبة بني هلال:" أتت الرمل إلى سوف من طرق الصحراء الكبرى من جهة الجنوب، ومازالت تتزايد إلى وقتنا هذا[3]، فالرمل فيها ناعم كالدقيق المنخل، ملح المذاق وفيه الحلو والمر، إذا ثارت الرياح أطارته في الجو أعمدة لا يستطيع الإنسان السير في أرضها من غير ستر عينيه، ومن مضار الرمل إذا شرب يحدث ضرراً بالكلى، أما منافعه أن الدفن فيه* يمنع الاستسقاء وهو انتفاخ البطن والأورام الرخوة، ووجع الظهر والمفاصل وإخراج البرد القديم.

وألوان الرمل عند الأنطاكي فهي بحسب ما استولى عليه، فإن غلب عليه الحر اصفر لونه وإن غلب عليه البرد ابيض لونه، وإن اعتدل حاله احمر، وإن غلبت عليه الرطوبة المعفنة من قلة الحر اسود. وكلها موجودة في أرض سوف، وأكثرها الأصفر ثم الأبيض ثم الأسود ثم الأحمر[4]. وقد يتولد منه حجر صلب أحمر اللون من شدة الحرارة يسمى اللوس، أما الرمل الأبيض يتولد منه أنواع مختلفة منها:

---

[1]- جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ص10.

[2] - المرجع نفسه، ص11.

[3] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص44.

* المعروف عن أهل الصحراء استعمالهم للحمام الشمسي أواخر فصل الصيف، وذلك بدفن أبدانهم ما عدا الرأس في الرمل المشمس، قصد التداوي بعض الأمراض الناشئة عن البرد والرطوبة، ويطلق عليها باللهجة العامية بـ "التعريق".

[4] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص47.

-التافزة: ويقال لها الرغوة، والجيرية وحجر التراب، المشاشة، الريغة، البوغة .....، وتكون على وجه الأرض.

-التافزة الحجرية: وهي متصلبة وتكون غالبا قرب الماء، ومن هذين النوعين يكون الجبس الذي به البناء مع اللوس.

-رأس الكلب: وهي حجارة مخلوطة بالتراب، قليلة الصلابة لونها أبيض.

-الربطة: حجارة رقيقة جدا من طبقات، وبين كل طبقتين تراب سريعة التكسر شديدة البياض.

أما التراب الأحمر يكون قرب الماء أو في الشطوط تتولد منه حجارة محمرة مخلوطة ببياض والتراب الأسود يكون على وجه الأرض وباطنها، تسمى أرضه تنغرت (وهي لفظة زناتية تعني الأرض التي جرفتها المياه) أو غمرة أو الشهباء، تتولد منه حجارة كأنها تربة تميل إلى السواد ومن جميع أنواع التربة تتولد حجارة رقيقة على وجه الأرض تسمى بالغليظ وغيرها[1].

ب-المناخ: تبعد مدينة وادي سوف عن البحر بـ 390كلم، ويبلغ متوسط ارتفاع المنطقة عن سطح البحر 80م[2]، وتتميز بمناخ صحراوي، فهو جاف جدا مع حرارة صيفية وكبيرة الأمد، مع انخفاض في درجة الحرارة في فصل الشتاء وتقلبات خفيفة للأحوال الجوية، ويصل المتوسط الحراري في فصل الصيف إلى 34° وقد يتعدى في بعض الأحيان 50، حيث تكون الرمال شبه ملتهبة. وفي فصل الشتاء يكون المتوسط الحراري 10° وعندما تشتد البرودة وخاصة ليلاً تنخفض إلى ما دون الصفر[3].

أما الرياح فتهب شمالية وشمالية غربية (تسمى بالظهرواي) من فيفري إلى أفريل، وتهب الرياح شرقية (وتسمى البحري) وهي منعشة من أوت إلى أكتوبر، وتهب رياح جنوبية (وتسمى الشهيلي) وهي حارة تكون خلال فصل الصيف، أما الأمطار فهي قليلة ونادرة بسبب بعد منطقة سوف على البحار، ويصل المتوسط السنوي للتساقط بالمنطقة إلى 80.3ملم[4].

[1] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص47.
[2] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص06.
[3] - جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ص36.
[4] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص06.

ج-الموارد المائية: الماء ضروري لوجود البشر في الصحراء أكثر من أي مكان آخر، لن بالوادي لا نجد منه ولا نقطة واحدة تطفو طبيعيا على وجه الأرض، وفي المقابل هناك عدد كبير من الآبار تزادا عمقاً كلما تعمقنا بالجنوب، وبالحفر الكافي نتحصل على بئر والحصول على الماء، وأغلب ماءها مالحا غير صالح للشرب.

وقديما كان الناس يعرفون النقاط حيث يمكن الحصول على عمق معين يحتوي ماء شروب وهذه الآبار يطلق عليها اسم "حاسي" في بعض المناطق[1]، وللمياه طبقات في الوادي هي:

- الأولى: وتوجد على عمق حوالي 20م، وتحمل كميات من الفليور تصل إلى 3ملغ في اللتر الواحد.

- الثانية: وهي الوسطى وتوجد على عمق حوالي 350م، وتصل نسبة الفليور فيها إلى 2.3ملغ في اللتر الواحد.

- الثالثة: وهي السفلى وتوجد على عمق ما بين 1500م إلى 1700م، وتنخفض في هذه الطبقة نسبة الفليور.

وللمياه أضرار منها:

-إن الذين يتجاوزون الأربعين من العمر يشتكون من وجع العمود الفقري في جزئه الأسفل بسبب الفليور.

-تسبب المياه نسبة 96% من مرض الأسنان وخاصة الإصفرار المعروف بـ "خط العرجون".

-الفليور يزاحم الكلسيوم في العظام، مما يجعلها جافة وقابلة للانكسار[2].

د-الغطاء النباتي: يتميز الغطاء النباتي بسوف بالجفاف وكثرة الرمال، ومع ذلك توجد نباتات طبيعية متنوعة ذات جذور طويلة تنمو في الأودية وأطراف الكثبان الرملية[3]، وقد ذكر منها صاحب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف أكثر من 80 نوعا أهمها: منها خاصة بالرعي

[1] - جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ص21.
[2] - مفكرة نهاية القرن العشرين، ص53.
[3]- الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص06.

كالحلفاء والبشنة والصفار والعجرف والسمهري والعضيد والقرطيفة والقطف والنمص والخذلاته والطازية ....الخ، وهناك نباتات للرعي والتداوي معاً، كالبسابس فهو يطيب رائحة الفم ويداوي انتفاخات البطن وكذلك الحرمل والفيجل والضميران والحنظل وقال عنه الشيخ داود الأنطاكي بأنه: ينفع الشقيقة وعرق النسا والمفاصل وأوجاع الظهر.

أما شجر الصحراء الحطبي له أنواع منها: الأزل، الأراطي، والعلندي، الزيتاء والبلبال.....الخ، وأيضا الرتم العرعار، الطرفاء، الاثل ويقال له الابهل والعذبة[1].

وجميع ما تقدم ذكره من النباتات فهي برية تنبت بنفسها، وتسقى بماء المطر، وهناك نبات يكون برياً أو بستانياً وسقيه يكون من الآبار، ومنها الريحان والرند، الرجلة ويقال لها البردلاق أو البقلة المباركة، النعناع الكزبرة، حبة حلاوة، الكركم، الخروع، الزعتر، شجرة مريم .....الخ[2].

أما عن بُقولها فمنها الكابو وهو اليقطين، القرع، اللفت، الجزر، الباذنجان، الفقوس وهو القثاء البطيخ، الدلاع ، البطاطا، الطماطم، الحمص، الجلبانة، الفول، الفلفل، الكروية، الحلبة .....الخ[3].

أما أشجارها نذكر منها العنب، التين، الرمان، البرتقال، الزيتون، التوت، شجرة السدرة....[4] والنخلة فهي الشجرة المباركة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم:" أكرموا عمتكم النخلة " قيل أنها خلقة من فضلة طينة آدم عليه السلام، وتشبه الإنسان في أمور كثيرة منها: استقامة قدها كاستقامة قد الآدمي، وتمييز ذكرها عن أنثاها، ولا تثمر إلا باللقاح، وإذا قطع رأسها هلكت كالإنسان.....[5]، وأنواع النخيل كثيرة في وادي سوف منها متباينة بالألوان والغلظ والرقة والطول والقصر والرائحة والطعم، ومن أسمائه: الغرس وأخت الغرس والدقلاوي فنصفه دقلة والنصف الآخر غرس، ودقلة نور وتعتبر أجود أنواع التمور، ودقلة بيضاء، حمراية...[6].

---

[1] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص59.
[2] -المرجع نفسه، ص64.
[3] - المرجع نفسه، ص 70.
[4] -المرجع نفسه، ص72.
[5] -المرجع نفسه، ص74.
[6] -المرجع نفسه، ص76.

وتمر النخل فهو دواء وشفاء لعدة أمراض، فقد أوصى به النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما يستخرج من النخل بمنطقة سوف مشروب يسمى "اللاقمي"، ويتم ذلك بحجامة النخلة عندما تصبح لا تنتج ثماراً.

هـ-الحيوانات: أثبتت كثير من المؤرخين أنه عندما كانت الغابات بأرض الجنوب بسوف، كان لها الكثير من الحيوانات كالأسد والنمر والفهد والحمار الوحشي والبقر الوحشي، وغير ذلك ومع مرور الزمن انقطعوا منها[1]، ويعتبر الجمل أهم الحيوانات بسوف، فهو رفيق البدوي والحامل لأثقاله والصابر معه على جفاف الصحاري ويستفيد من لحمه وحليبه ووبره[2].

وتصنف الحيوانات فيها إلى برية وأخرى أليفة، فالحيوانات البرية مثل: الغزال ومن أسمائها الريم والعفر ومن عجائبه أنه يأكل الحنظل والحدج ويشرب ماء البحر، وكذلك الثعلب والفنك وهو الأبيض من الثعالب الضبع، والقنفد والأرنب.....الخ، أما الحيوانات الألفية مثل: الماعز، الضأن، الإبل، البغل، الخيل، سلوقي الصيد وهو نوع من الكلاب، القط ....الخ.

وطيورها كثيرة أشهرها: الحداءة، الأنيس، العصيفير، اليحموم أو أم رباح وهي العقاية الزاوش، أم عجلان زمج الماء وهو النورس، الهمامة ويقال لها أم الليل أو أم الذر، أبو هارون وهو الغراد، البوم، الخفاش ويسمى طوير الليل ....الخ، أما حشراتها منها: الحنش، الورل، بوكشاش بوبريص، شرشمان ويقال له سمك الرمل، الأفعى، العقرب، البوية وهي نوع من الحرباء[3].

ثانياً: الإطار التاريخي:

1-قبل الإسلام: تعاقبت على وادي عبر العصور عدة أجناس نذكر منها:

أ-البربر: من المعروف تاريخاً أن الأمازيغ دخلوا التاريخ في الألف الثانية قبل الميلاد، وأن مواطنهم كل بلاد المغرب (شمال إفريقيا)، بما فيهم التخوم الشمالية للصحراء، وكان يعيش في الجنوب الشرقي الليبيون الذين تحولوا مع مرور الزمن إلى جيتولين، ويضيف إليهم بعض

[1] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص81.
[2] - بن علي محمد الصالح، الموسوعة للأمثال والحكم الشعبية، ص13.
[3] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، 85، 87.

المؤرخين قبائل زيفون (ziphones) وإفوراس (iforaces) وماسوفا (Massoufa)، كما يوجد شعب الغرامانت الذي عاش في شمال شرق الصحراء حتى الحدود الطرابلسية، وأسس مملكة غراما (غدامس). ويمتاز شعب الغرامانت بالشجاعة والإقدام، وخاض عدة معارك طاحنة من أجل بسط نفوذه على مناطق الرعي، ورغم أن هذه الشعوب قد سادت وبادت بالمنطقة إلا أن بعض آثارها مازال باقياً في بعض التسميات منها: تغزوت، دريمني وأسماء بعض التمور كتركرمست وتفاوزين، تافرزايت...[1] ، وقال القدماء إن البرابرة الذين وصلوا إلى سوف وما حولها متأخرين هم زناته، وأكثر الأماكن الموجودة الآن تسمى بهم، وبنو بها أماكن منها الجردانية وتكسبت[2].

ب-الكنعانيون: وهم الفينيقيون يتصل نسبهم بنسب البربر، كانت أراضيهم بناحية بلاد الشام احترفوا البحارة والتجارة[3]، وإن ما ترجحه الأخبار عن المؤرخين أن الفينيقيين قد بلغوا أرض سوف وكانت مساكنهم في وادي الجردانية التي شيّدها البرابرة حين قدموا إلى الوادي، وكانت لهم علاقات تجارية مع بلاد السودان عن طريق البر (العرق الشرقي الكبير) فكانوا يقطعون أرض سوف ويمارسون التجارة فيها[4].

ج-الرومان: أتى الرومان إلى أرض سوف منذ دهر طويل لا نعلم أوله، وقاتلوا وأخرجوهم من فيها، وجددوا ما تهدم منها وتعمقوا في أراضيها، وعثر على آثارهم في عدة مناطق منها قمار الرقيبة، وغرد الوصيف[5].

د-الفندال: ويقال الوندال، كانوا في أرض الإسبان فضاق عليهم العيش لكثرة عددهم، فأرادوا الخروج منها[6].

ونزلوا بالشمال الإفريقي واحتلوا قرطاجنة سنة 439م بقيادة ملكهم "جنسريق"، فقتلوا كثيراً من الرومان وهدموا الكنائس وأجلوا أصحابها من الرهبان إلى جهة الجنوب، واستقر بعضهم بأرض

[1] - مفكرة نهاية القرن العشرين، ص12.
[2] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص129.
[3] - المرجع نفسه، ص132.
[4] - مفكرة نهاية القرن العشرين، ص16.
[5] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص135.
[6] - المرجع نفسه، ص140.

سوف في منطقة سحبان الواقعة جنوب غرب الوادي بحوالي 26كلم، وفي جلهمة بين قمار وتغزوت، والجدير أن الوندال لم يصل بأنفسهم للمنطقة بل الفارين والمطرودين واللاجئين كانت سوف خير مستقر لهم[1].

هـ-البيزنطيون: جنس بين مزيج بين رومان ويونان، ويقال لهم بيزنطيين نسبة إلى مدينة عاصمة مملكتهم. ووصلوا إلى سوف بغرض نشر المذهب الكاثوليكي، حيث ذهب جماعة من الرهبان إلى الجنوب ومنها أرض سوف فنزلوا بجلهمة وسحبان، وبنو أمكنة للعبادة وسقطوا لما قدم الفاتحون المسلمون[2].

2-العصر الإسلامي: وصلت جحافل الفتح الإسلامي إلى إفريقيا في وقت مبكر، حيث وصل عقبة بن نافع (في ولايته الأولى 46هـ ففتح غدامس، وتوجه نحو إقليم الجريد وسوف لا تتجاوز 90كلم آنذاك، وفي ولايته الثانية 63هـ وصلت قواته إلى بلاد الزاب المحاذية لولاية الوادي، ولكنه استشهد في تاهورة سنة 63هـ (683م). وقد تعرضت المنطقة الصحراوية كغيرها من الجهات الجنوبية الشرقية إلى الظلم والاضطهاد الذي سلطته الكاهنة على الناس، ولما ولي حسان بن العمان الغساني، تصدى لقتال الكاهنة، ولكنه تراجع واستقر في برقة مدة خمس سنوات بداية من عام 78هـ، وفي تلك المدة خربت الكاهنة البلاد المجاورة لها ومنها الوادي، ظنًا منها أن المسلمين قدموا إلى المكان طمعا في المدائن والذهب والفضة، وأعاد حسان الكرة وحارب الكاهنة وهزم جيوشها ولاحق فلولها إلى منطقة بئر العاتر وقضى عليها، لكنه في المقابل عقد لولديها على 12 ألف من البربر الذين أسلموا وبعث بهم إلى لمغرب يجاهدون في سبيل الله وكان ذلك عام 84 هـ (703 م). وبذلك استحق حسان بن نعمان أن يلقب بالفاتح الحقيقي وناشر الإسلام في تلك الربوع. وكانت الوادي يومئذ عامرة بالبربر الذين يعيشون حياة البدو الرحل، وكان العرب من بقايا الفاتحين الأوائل أو المهاجرين من المشرق يمرون بالوادي ويستقرون لبعض الوقت، فيحدث التأثر بين الطرفين في الأخلاق والمعاملات وقد مرت الوادي بمراحل متنوعة عاشت فيها تحت ظل

[1] - وادي ملكة الرمال الذهبية، ص16.
[2] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص141.

الدويلات الإسلامية، ومن هذه الدويلات الدولة الرستمية والدولة الأغلبية، وكذلك الدولة الفاطمية والتي أتت منها القبائل العربية إلى سوف وكان نسبهم منها، والدولة الموحدية التي سقطت على يد الأتراك[1].

3-نسب سكان وادي سوف: إن أغلبية العروش والقبائل لسكان سوف تنتمي إلى قبائل طرود وعدوان وهلال وسليم، وينتسبون جميعاً إلى العرب العدنانية، مع وجود بعض القبائل تنحدر من أصول بربرية، وبعض الأقليات من أصول مختلفة:

أ-قبائل الطرود: ينتسبون إلى طرود بن فهم بن عمر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2]، وهم يشكلون أساس السكان البدو، ويتشكلون من قبيلتين هما الأعشاش والمصاعبة ويقطنون الوادي وضاحيتها[3].

ب-قبائل عدوان: وينتسبون إلى عدوان بن عمر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[4].

ج-قبائل هلال: ينتسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

د- قبائل سليم: ينتسبون إلى سليم بن منصور بن عكرمة خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[5]

4-العهد العثماني والاحتلال الفرنسي في وادي سوف:

أ-العهد العثماني: خلال عهد الجزائر العثمانية (1518-1830م) لم تخضع وادي سوف إلى الحكم المركزي المتمثل في بايليك الشرق، تحت سلطة الباي وعاصمته قسنطينة مع الرغم أن للباي ممثلين في الأقاليم منهم شيخ العرب للصحراء، فإن وادي سوف كانت مستقلة في أغلب

[1] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص17.
[2] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص270.
[3] - جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ص88.
[4] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص270.
[5] - بن علي محمد الصالح، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم السوفية، ص13.

الأحيان، لكنها تتعرض من حين لآخر إلى ضغوط ونفوذ سلطات تقرت تحت عرش بني جلاب من أجل جمع الضرائب وهذا في الفترة ما بين (1700-1844م) وبقيت على هذا الحال إلى أن دخلت القوات الفرنسية المستعمرة المنطقة[1].

ب-الاحتلال الفرنسي للوادي: في ديسمبر 1854م وصل العقيد الفرنسي ديفو "Desvaux" بقواته الهائلة إلى وادي سوف مستطلعا الوضع العام ثم رجع إلى تقرت ليعلن يوم 26 ديسمبر 1854 على أن سي علي باي بن فرحات ممثل فرنسا، وقائد على تقرت ووادي رغ ووادي سوف ولم تقبل المنطقة هذا الوضع الجديد بل قاومته ولم تتمكن القوات الفرنسية احتلال سوف إلا سنة 1881م، ووصلت إلى الوادي سنة 1887م[2].

ومن أهم معارك الوادي نذكر منها: معركة حاسي خليفة، وسميت على اسم منطقة حاسي خليفة وهي أول معركة بالمنطقة في 17 نوفمبر 1954م، ومعركة صحن الرتم بين الجديدة والمقرن شمالاً في 15 مارس 1955م[3]، ومعركة هود شيكة بتاريخ 8 أوت 1955م، بقيادة الشهيد محمد لخضر عمارة المدعو (حمه لخضر)، وغيرها من المعارك التي أُقيمت بالمنطقة، أما عن شهدائها فقد بلغت الحصيلة التقريبية لشهداء الوادي 768 شهيد، نذكر منهم: القائد محمد لخضر عمارة، القائد الطالب العربي قمودي، القائد عبد الكريم هالي، القائد السعيد عبد الحي[4].

أما عن التقسيم الإداري بالوادي، فكانت كالتالي:

-بلديات الوادي قبل 1963م: الوادي، البياضة، البيهمة، المقرن، كونين، الزقم، قمار، الرباح الدبيلة، الرقيبة، النخلة، الطريفاوي، حاسي خليفة، سيدي عون، وادي العلندة.

-بلديات الوادي بعد 1963: الوادي، الرباح، الدبيلة، قمار، كوينين.

[1] - مفكرة نهاية القرن العشرين، ص28.
[2] - المرجع نفسه، ص30.
[3] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص29.
[4] - المرجع نفسه، ص31.

-بلديات الوادي بعد 1984: الوادي، حساني عبد الكريم، كوينين، الطريفاوي، الدبيلة، ورماس، وادي العلندة، المقرن، تغزوت، اميه ونسة، سيدي عون، قمار، البياضة، حاسي خليفة، الرقيبة، الرباح، الطالب العربي، الحمراية، العقلة، دوار الماء، النخلة، بن قشة[1].

ثالثاً: الإطار الاجتماعي والاقتصادي:

1-النظام الاجتماعي في المجتمع السوفي:

أ-**الأسرة:** وتعتبر الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع، وعرفها أرسطو بأنها أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، أما أوجست كونت يرى أن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة التي يبدو منها التطور وقارنها بالخلية الحية البيولوجية لجسم الكائن الحي[2]، ويرى مصطفى الخشاب أنها مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة والطبيعة، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي[3]. وفي وادي سوف كغيرها من المجتمعات لها نظام بالأسرة يقوده الأب والقرارات تتخذ من طرفه بعد مشورة الأطراف الأخرى وقديما كان البيت يتسع إلى عائلة الأب والأبناء، وتبقى السلطة المعنوية والمادية للابن الأكبر بعد الأب احتراما له، أما العائلة فهي مجموعة من الأسر تتجاوز السكن والأملاك الفلاحية، فيقودها أرجحهم عقلا وأرشدهم رأياً، كما تقدم بين الأسر حملات تضامنية تعرف بـ (العوانة) -في بعض مناطق الوطن تعرف بالتويزة- وخاصة في الخريف لخاصة عند جني التمور، والصيف أثناء عمليات البناء فكانت (العوانة) نموذجاً رائعاً للتكافل الاجتماعي والترابط والتآزر[4].

وحديثاً حدث تطور كبير في تركيبة العائلة بالوادي التي بدأت تعيش الاستقلالية، فبمجرد زواج الابن يمكث مدة في بيت والده ثم ينتقل إلى بيت خاص به بصفة اختيارية أو اضطرارية

[1] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص32.
[2] -زينب إبراهيم الغربي، علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها، مصر، د ط، د ت، ص27.
[3] - المرجع نفسه، ص28.
[4] - مفكرة نهاية القرن العشرين، ص98.

وبعد أن كانت السلطة والسيطرة لرب العائلة (الأب) أصبحت المرأة تشارك الرجل في حياته الاجتماعية وصار لها دور في توجيه الأسرة وإدارتها[1].

ب-صفة عمرانها: قال الشيخ العدواني*:" كانت أرض سوف قَفراء فعمرت، ثم بعد زمن قليل خربت ثم عمرت ثانية، ولم يطل ذلك فخرجت، ثم عمرت مرة ثالثة، ومكثوا زمناً (أي ساكنوها) ثم خربت، ثم عمرت مرة رابعة وطال عمرانها وشاع صيتها، وتمكن أهلها، ثم خربت ثم عمرت بعد ذلك بطرود وغيرهم[2]".

وقصد بغيرهم بنو عدوان وبنو هلال وبنو سليم، ومازالوا بها إلى يومنا هذا، وأما مساكنهم فطرود في ابتداء الحال كانت بالجبس، وحين صاروا أصحاب نخيل جعلوا زرائب من الحلفاء والحطب والأخشاب.

قال العياشي**:" حين وصلنا إلى الوادي وجدنا طرود يسكنون في زرائب من جريد النخل وبها يخزنون ما يحتاجون إليه". وبنو هلال وبنو سليم فكانت مساكنهم في خيام من الشعر والوبر وكذلك زرائب من الحلفاء، وبيوت من طين[3]، أما المتأخرون بنو بيوتاً بالطين والجبس، وبعد مرور زمن صاروا يبنون بالحجارة ثم ازداد في الارتفاع وصارت السقوف بالقباب[4].

والقبة قد ميزت العمارة بوادي سوف عن غيرها من ولايات الوطن، كعنصر تزييني تاريخي وعنصر وظيفي يعكس أشعة الشمس الحارقة ويحد من تراكم الرمال على سطح البيوت ومساحة للتهوئة، إلى أن سميت وادي سوف بمدينة "ألف قبة وقبة"، وقيل أن أول أطلق عليها هذا الاسم

---

[1] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص35.

* الشيخ العدواني رحمه الله، شخصية تاريخية من قرية الزقم إحدى قرى سوف، كان عالماً مولعاً بالبحث والتنقيب أدى به هذا إلى الكتابة في ميدان التاريخ، من مؤلفاته كتاب تاريخ سوف ترجم إلى الفرنسية سنة 1868م، ومع الأسف نكاد لا نجد اليوم أثر لما تركه الشيخ العدواني.

[2] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص98.

[3] -المرجع نفسه، ص100.

[4] -المرجع نفسه، ص108.

** العياشي رحالة مغربي مر بسوف أثناء سفره إلى المشرق، وقيل لبيت الله الحرام، وكان مروره بوادي سوف سنة 1072ه-1662م، وقيل في رواية أخرى سنة 1966م.

*** إيزابيل هاردت، كاتبة وصحفية روسية الأصل، جاءت إلى وادي سوف سنة 1877م وغادرتها، لتعود سنة 1890م برغبة الإقامة فيها، واعتنقت الإسلام وتعلقت بالعادات والتقاليد السوفية.

هي الكاتبة والصحفية الروسية "إيزابيل هاردت***"، وذلك حدود سنة 1904م[1]. وأصل هذه الطريقة المعمارية يوجد في مدينة "قم" ببلاد فارس وفي بعض ضواحي مدينة حلب في سوريا والتي يقال أن والسوافة الأوائل لهم علاقة نسب بها[2].

وعلى الرغم من التطور العمراني الذي شاهدته وادي سوف، إلاّ أنها مازالت تحافظ على طابع القبة من طرف أغلبية سكانها، ومازالت ولاية وادي سوف هي مدينة "الألف قبة وقبة" .

ج-الألبسة: كان لباس الأولين جلود الضأن للرجال وجلود الماعز للنساء بعد دبغها، ثم تعلموا الغزل والنسيج فصار الرجل يلبس لحفة أو قندورة صوف، والمرأة تلبس حولي أو بخنوق، وأحذيتهم مأخوذة من الصوف مصنوعة من بالشعر أو الوبر سموها عفافين، بعدها أصبحوا يأتون بالكتان المالطي من تونس يلبس منه الرجال ثوبا يسمى (سورية) والمرأة (ملحفة) وهي الملالة -أو الملاية-، وبعدها كثرت وتنوعت الملابس واختلفت أشكالها وألوانها[3]، ويمكن توضيح أكثر في الجدول التالي:

الألبسة الرجالية	الألبسة النسائية
-القدوارة: جبة بيضاء، وتلبس في فصل الصيف. -الشاش والعراقية: ويلبسان صيفاً وشتاءْ. -القشابية: تصنع من الصوف أو الوبر وتلبس شتاء، والسروال العربي يلبس في فصلي الشتاء والصيف. -العفان: حذاء يصنع من الصوف الأبيض وشعر الماعز، ويلبس شتاء وصيف.	-ملحفة: فستان واسع يسبل إلى الكعبين وينسج من أنسجة حريرية أو الصوف. -الحولي: يلبس فوق الملحفة، ويوضع على الكتفين. -البخنوق: يصنع من الصوف، ويوضع على الرأس ويكون لونه أحمر وأصفر ويغلب عليه السواد. أما حلي المرأة كثيرة منها: الخلة الخلخال الخمسة السخاب....الخ.

[1] - بن علي محمد الصالح، الموسوعة السوفية الأمثال والحكم الشعبية، ص15.
[2] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص37.
[3] -ينظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص97.

ويبقى اللباس التقليدي السوفي يتميز عن غيره بخصوصيات ميزته عما هو موجود في المناطق المختلفة من الوطن، وذلك بسبب الظروف الطبيعية الخاصة بالمنطقة والذوق العام لقاطنيها.

وبالإضافة إلى ما ذكر من نظام الأسرة السوفية وصفة عمرانها وألبستها، فهناك أيضاً في المجتمع السوفي عدة عادات وتقاليد في كل أعيادها ومناسباتها العامة، وكذلك الأكلات الشعبية الخاصة بالمنطقة كالسفة والمطابيق وغيرها من الأكلات المعروفة بالمنطقة، وإن تغيرت عادات البيت السوفي، إلا أن المرأة السوفية مازالت تحضر الأطباق الشعبية ومحافظة عليها.

2-النشاط الاقتصادي: يقوم النشاط الاقتصادي بوادي سوف على جملة من الأسس منها: الفلاحة، التجارة، تربية المواشي، الصناعات التقليدية، تتناسب هذه الأسس مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة.

أ-الفلاحة: وتتمحور على غرس النخيل، وقد بدأت منذ زمن بعيد، وذلك في حدود سنة 1540م، حيث تغلب أهل سوف على صعوبة الطبيعة الجافة، والغرس يكون في الغُوطَ أو الهُود وهو أرض منخفضة قريبة من المياه الجوفية تغرس النخلة فيه[1]، وتتميز عملية غرس النخلة في المجتمع السوفي عن باقي المناطق الصحراوية بخصائص فريدة من نوعها، ومراحل متنوعة يقوم بها الفلاح السوفي كالتالي:

عملية انجاز الغُوطَ* وهو حفر حوض ذو امتدادات واسعة تبلغ مئات الأمتار طولاً وعرضاً -16م على الغالب- مع اختيار المكان المناسب وقربها من الماء. ثم رفع الرملة وهي عملية أساسية عند إنجاز غوط جديد بواسطة عمال يسمون بالرمالة، وعند الانتهاء من الحفر يشرع في غرس الحشّان (وهي نخلة فتية يتراوح عمرها ما بين 3 إلى 6 سنوات) على مستوى يبعد عن الماء حوالي مترين تقريبا وتبدو عملية السقي، وبعد هذه المراحل على الفلاح أن يقوم بخدمة النخيل

[1] -بن علي محمد الصالح، الموسوعة السوفية للأمثال الشعبية، ص15.

* يمثل الغوط مظهرا فلاحيا فريدا من نوعه على مستوى العالم، وقد صنف ضمن الموروثات الثقافية العالمية سنة 2011م، من طرف منظمة الأمم المتحدة "الفاو"، لما يمثله من أهمية تاريخية واقتصادية واجتماعية، وقد شبهه البعض من زار المنطقة بالأهرامات عند الفراعنة، فهم بنواها إلى الأعلى والفرد السوفي حفرها إلى الأسفل.

بمكافحة الرمال باستخدام حاجز من جريد النخيل يسمى بـ "الزرب"، وكذلك علف النخيل وتسمى هذه العملية بـ "العلْفان"، وهي تزويد النخلة بالأسمدة اللازمة والمواد العضوية الضرورية وتكون على ثلاث مراحل وتستمر سنوات عديدة، بعدها تكون عملية تذكير النخيل، وهي عملية التلقيح في شهر فيفري حين يخرج الطلع، وأخيراً يكون موسم جني التمور في منتصف شهر سبتمبر عند نضوج التمر[1].

كما اهتم الفلاح السوفي ببعض الزراعات الأخرى والمنتجات الفلاحية الأخرى التي يخصصها للاستهلاك العائلي أو بيعها في الأسواق المحلية، أما اليوم فشهدت وادي سوف ثورة فلاحية كبيرة في مختلف المحاصيل الزراعية خاصة في إنتاج البطاطا.

ب-التجارة: كانت وادي سوف ولا تزال محطة تجارية هامة، ومنطقة عبور للقوافل التجارية في مختلف الاتجاهات فعلى المستوى الخارجي يوجد طريق نحو غدامس وغات بليبيا، وطريق نحو نفطة بتونس، أما على المستوى الوطني فأهمها الطرق التجارية الرابطة بين وادي سوف وبسكرة وتقرت وخنشلة، ويعتبر سوق الوادي المركز الاقتصادي الأساسي، ويقع في قلب مدينة الوادي ويعد من أكبر الأسواق الوطنية، حيث يأتيه الناس من كل مختلف مناطق الوطن لشهرته الواسعة وتوفره على مختلف السلع[2].

ج-تربية المواشي: تتمركز تربية المواشي في القديم ببوادي من جنوب تبسة شمالاً إلى أطراف مدينة غدامس الليبية جنوبية، ومن الحدود الجزائرية التونسية شرقاً إلى أطراف مداشر وادي سوف وحدود وادي ريغ وورقلة غرباً، معتمدة على الرعي وما جاءت به الأرض من أعشاب صحراوية مرتبطة بنزول المطر، لذلك كان الترحال في المنطقة بحثاً عن الماء، أما حديثاً فشهدت مهنة تربية المواشي نموا كبيراً وأصبحت وادي سوف قطب من أقطاب تسمين الغنم والماعز والأبقار ورافد من روافد الحليب واللحم والصوف[3].

[1] - ينظر: الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص63، 64.
[2] - بن علي محمد الصالح، الموسوعة السوفية للأمثال الشعبية، ص16
[3] - المرجع نفسه، ص16.

د-الصناعات التقليدية: اتسمت الصناعة التقليدية في المجتمع السوفي في القديم بطابع البساطة، ومن أهم المصنوعات التقليدية: البرانيس، وهو جمع برنس ومنها الرفيع والمتوسط ويكون من الصوف، وكذلك الحايك و القنادر والأفرشة والوسادة واللحافي والعفان، والقرداشة التي تستخدم للصوف .....الخ[1]، ومن النخلة أيضا تصنع الأواني والآلات ومواد البناء، ومن أصواف الأغنام وأشعار الماعز وأوبار الجمال يتم نسج الملابس والأفرشة وإعداد الخيام، ويتم دبغ الجلود لتصير جاهزة لمختلف الصناعات الجلدية، أما الحجارة الباطنية فهي أساس الجبس الذي يعتبر المادة الأساسية لتشييد المباني والمنشآت العمرانية[2].

ومع مرور الزمن بلغت مستوى عال من الرقي، فتعدّت بعض المنتوجات الصناعية حدود وادي سوف.

رابعاً: الإطار الديني والثقافي: يتميز المشهد الديني والثقافي في وادي سوف بالحركية والنشاط الاجتماعي، وغزارة الإنتاج ويعد الدين أحد المكونات الأساسية لثقافة المجتمع.

1-الدين: السوافة مسلمون متحمسون لكنهم ليسوا متطرفين، تأتي هذه الخاصية من العقلية اللبرالية التي تحرك رؤسائهم شيوخ الزوايا الدينية المحلية، كالرحمانية، القادرية، التجانية، ولهم أجج الإحساس الديني والحماسة الإسلامية، كما هو الحال عند الكثير من المناطق الجزائرية الأخرى، ويوجد الكثير من المدارس القراءنية بسوف، حيث يتعلم الأطفال اللغة العربية وفق المنهج الإسلامي التقليدي، ويقام لطفل الذي يحفظ القرآن الكريم باحتفال عائلي[3]، و كان للأسرة الشابية نشاط روحي ودعوي بارز بسوف، وذلك من خلال قدوم الشيخ محمّد المسعود الشابي ويعود نسبه إلى عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، وكان قدومه بدافع الحرص على دين القوم، ولم يغادر من المنطقة إلاّ بعد أن ترك وراءه أتباعاً وتأثروا بطريقته، وأسس مسجدين أحدهما وسط الوادي وآخر بقمار سنة 1597م[4].

[1] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص105.
[2] - الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص75.
[3] جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ص144.
[4] - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص192.

كما يتمثل الدين في مجموعة من المعتقدات والقيم الشعبية التي تحكم حياة الفرد والمجتمع على حد سواء، وجوهر تلك المعتقدات مستمد من الدين الإسلامي، وإن علقت بها بعض الشوائب من بدع وخرافات، إلاّ أن آثار الثقافة الدينية جلّي لدى سكان وادي سوف، وتظهر على السلوك الفردي والاجتماعي عبر الأقوال والأفعال، فاللغة عندهم مشبعة بالعبارات الدينية من خلال التخاطب والتداول في المجالس العامة والخاصة، ومن أشهر هذه العبارات: "الصلاة على النبي أستغفر الله، الله، بالله، إن شاء الله، بحول الله، ربي يهنيك، ينوب عليك، ربي يعاون والله يعينك....الخ"[1]، ومن المعتقدات الشعبية بالوادي يأتي في مقدمتها الاعتقاد في الأولياء الصالحين، وهم شيوخ الطرق الصوفية،لهم مقدرة عجيبة لأفعال خارقة والضريح رمزاً لهذه القدرة، ومن المعتقدات أيضاً ما يتعلق بعوالم الجن والعفاريت، والاعتقاد بالسحر وتتجسد هذه المعتقدات بشكل أكثر في الفضاءات النصية كالحكايات الشعبية. وعرف أهل سوف بالاعتقاد الكبير بالأشباح والغول والنّيد والمصّورة، والخوف الشديد من العين الحاسدة[2].

وللحديث عن الوازع الديني ومكانة الزوايا الصوفية وطرقها في وادي سوف، يطول البحث فيه وهذه إشارة طفيفة لما هو موجود، وتعتبر المعتقدات الشعبية لدى سكان وادي سوف رافداً ثقافياً وفكرياً، يؤثر على وجدان الفرد والجماعة، وتظهر هذه المعتقدات جالية في السلوكات الخاصة والعامة، وتلبية لحاجات الفرد العقلية والنفسية والروحية.

2- اللهجة: عرفها إبراهيم أنيس في قوله:" هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعًا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض[3]".

[1] -كمال بن عمر، الألغاز الشعبية في منطقة سوف (جمع وتصنيف)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م/2007م، ص33.
[2] -المرجع نفسه، ص37.
[3] - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الانجو المصرية، ط8، 1996م، ص16.

وتعد لهجة وادي سوف من أقرب اللهجات العربية الجزائرية إلى اللغة العربية الفصحى فهناك تقارب بين اللهجة المحلية والفصحى، وذلك بسبب بعدة عوامل ساعدت على تشكيلها منها:

-استقرار الناطقين بها في مناطق منعزلة على غيرها.

-العوامل الجغرافية للمنطقة وطبيعة مناخها.

-العوامل الشعبية المرتبطة بأصول السكان وسلالاتهم التي تعود إلى أصول عربية .

-انتشار الكتاب القرآنية وتمسكهم القوي بالدين والثقافة الإسلامية واللغة العربية.

وللهجة سوف جملة من الخصائص في المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية وأبرز ظاهرة تشترك فيها المستويات المذكورة هي ظاهرة الاقتصاد اللغوي، وتتجلى أكثر على المستوى الصوتي من خلال الإدغام والإمالة والقلب والإبدال والحذف وغيرها من الظواهر الصوتية، والاقتصاد اللغوي قد أطلق عليه علماء اللغة القدامى لفظ التخَّفيف أو الخفّة أو الاستخفاف، ومن مظاهره تخيف الهمزة مثل:(كأس ⇦كاس)، أو تحذفها من الوسط مثل:

(الأمين⇦ لمين)، أو قلبها ياءاً مثل: (بئر⇦بير)، ونذكر مثال على المستوى الصرفي:(هالَوْلد ⇦هذا الولد) تم حذف اسم الإشارة هذا والاكتفاء بالهاء التنبهية طلباً للتخفيف[1].

3-الأدب الشعبي: عرفت نبيلة إبراهيم الأدب الشعبي بقولها:"... أما الأدب الشعبي فينبع من الوعي واللاشعور الجمعي، وعنه تصدر الأفعال والتعبيرات الواعية التي لا يمكن معرفة مغزاها إلا إذا بحثنا في جذورها النفسية...، وله عدة أنواع منها الأسطورة الكونية وأساطير الأخيار والأشرار والحكاية الخرافية والحكاية الشعبية واللغز والمثل الشعبي ...، فهذه الأشكال تختلف عن بعضها البعض اختلافا جوهرياً، مع إن صفة الشعبية تجمع بينهم...[2]".

والأدب الشعبي في وادي سوف كغيره في المناطق الكثيرة بالجزائر، يتميز بالثراء والتنوع على مستوى أجناسه وموضوعاته، وصوّر البيئة المحلية في شتى تجلياتها الجغرافية والدينية

[1] - كمال بن عمر، الألغاز الشعبية في منطقة سوف، ص38.

[2] -نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، د ط، د ت، ص03.

والاجتماعية، وغيرها تصويراً حيّ بكل أمانة وصدق وكشف عن الخصائص الفكرية والنفسية للطبقات الشعبية، وأفكار العامة ومشاعرها، وحتى مستوى تطورها الاجتماعي والفكري[1]، ومن أبراز مظاهر الأدب الشعبي بوادي سوف مايلي:

أ-الشعر الشعبي: أهم أغراضه الفخر، الحماسة، الحكمة، الرثاء، الغزل، الوصف، الهجاء المدح، وغيرها. ومن رواده القدامى: الشاعر بن دوال، إبراهيم بن سمينة، قدور التومي، محمد سويعي، أحمد بن سعود... وغيرهم. ومن المعاصرين نذكر: الشاعر علي عناد، عبد الرزاق شوشاني، الساسي حمادي، لخضر عطية، وغيرهم[2]، ومثال ذلك قول الشاعر عبد الرزاق شوشاني يصف الصحراء والبادية:

تَفكرتْ نجعْ الرَّيفَ وين أوكارهْ وربيعنا ونوَّارهْ أشوال الحليب إدَّح في الحُمَّارهْ

تَفْكَرتُهَمْ عُربانْ صَحْراوِيةْ مَّنْ اَلْوَادْ شَرقْ شِيرةْ اَلْحَدُودْ

نَّاسَ يَنتُموا لِلريَف وَالبَدوِيةْ رَجَالْ الشَّهَامَة وَاَلْكَرْمَ اَلْجُودْ

وَفِي أَرْضَ صَّحَارِي خَيْامَهْم مَبنِيَةْ دْخَال وَكَرْب وَرَمْل شَّيْن غْرُودْ

وَفِي وَبِنْ وَلدْ اَلْرِيْم حَطْ ضْنِيَهْ أَرْض اَلْمَصَّاحَن وَاَلْعُلَّا والهُودْ[3].

ب-الأغنية الشعبية: تتميز الأغنية الشعبية ببساطة المعنى فصورها الفنية مباشرة، قصيرة في عدد كلماتها وأبياتها موضوعاتها مأخوذة من المناسبات التي نظمت من أجلها، كالأعراس والختان، وأغاني رباج الصغار وترقيصهم[4] ومن أمثلة ذلك الأغنية الشعبية من التراث الشعبي لوادي سوف:

يَا خَدِيجة نَاسْكَ كَرهُونِي ومَا حَبُولِي خَيَّارْ

نَبكِي وَنَّذبَل فِي عُيُونِي عُيونَ الْغَزلَانْ

يَا خَدِيجَة كَرْهُونَا جِمَلْة خَسِرَتْ خَسْايَر فَاكْ العَمْلَةْ

[1] - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص41.
[2] -ينظر: بن علي محمد الصالح، موسوعة الأمثال والحكم السوفية، ص18.
[3] -بن علي محمد الصالح، عبد الرزاق شوشاني شاعر الوطن والبادية، مطبعة مزار، الوادي، الجزائر، ط1، 2010م، ص65.
[4] - بن علي محمد الصالح، موسوعة الأمثال والحكم السوفية، ص18.

وَهَذْا حَالْ مّنْ يَعْشقَ طُفلةْ وَخَدُودَها مُرَجَانْ

يَبْاتَ عَلى عَرجُونَ الدَّقَلةْ يَبْات عَلى المَّلالْ

عَالْصّهْد وَنَّيرانْ وَمَا حَّر فَرْاقَك يَا زَعبَّانَةْ

نِبَكي وَدّمعَةْ هَمَّالَة عَلى خَدِي تَّسِيَالْ

وَخَلَتَّنِي مَرِيضَ فِي حَالةْ عَشْرة شُهورَ وَعَشْرة ايَامْ

وَطَلْبتكَ يَا رَبِي اَلْعَالِي لَا فِي قَمْح وَلَا مَالْ

حَتَّى نَشُوفَ اَلْزَّيَن بِعَيْانِي وَحَتَّى اَلْمُوتْ حَلْاَلْ

وَنَّقَابْلهَا وَتَقْابِلني مُولاَتْ اَلْسَّالفَ اَلْمَّحنِي[1].

ج-الحكايات والقصص الشعبية: تحتوي في فضاءاتها السردية أبرز المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد التي كانت سائدة في أوساط أهل، كالاعتقاد في كرامات الأولياء وتأثير الجن والسحر وسائر الكائنات والقوى الغيبية على الإنسان، وكذلك تكشف عن بنية النظام الأسري، وطبيعة العلاقات الاجتماعية وأنماط الحياة المعيشية لدى مختلف طبقات المجتمع، وتناولت الحكايات الشعبية أيضاً قضايا سياسية مثل التعسف في استعمال السلطة واستغلال الحاكم للمحكوم.... والحكايات الشعبية في وادي سوف كثيرة ومتنوعة منها: قصة الستوت، حكاية الضاوية، قَتّالة أمها، محاجية الغولي، حكاية النية والحيلة، قصة عيال السلطان والوصيف....[2].

د-الأمثال الشعبية: يستمد المثل الشعبي في وادي سوف قوته من الصور الفنية والبلاغية ،كالتشبيه والاستعارة والكناية، وموضوعاته تصور الحياة في مختلف جوانبها العامة[3]، ومن أمثلة ذلك: "اصبر يا صابر تنال الخير" و"ما يعجبك نوار دفلة في الواد عامل ضلايل، ولا يعجبك زين طفلة حتى تشوف الفعايل[4]".

[1] - بشيرة فائزي53، سنة، منطقة الدبيلة ولاية وادي سوف، 2020/06/25م، ساعة 12:52زوالاً.
[2] - ينظر: كمال بن عمر، الألغاز الشعبية في منطقة سوف، ص42.
[3] - بن علي محمد الصالح، موسوعة الأمثال والحكم السوفية، ص16.
[4] -مسعودة فائزي،.51 سنة، قاطنة بمنطقة الدبيلة ولاية وادي سوف، 2020/06/25م، ساعة 16:20 مساء.

هـ-الألغاز الشعبية: ويكون على شكل سؤال منظوم مسجوع، حول مجهول يعتمد على تخفية صفاته[1]، واللغز في المجتمع السوفي منشر وبكثرة مثل: "عن حكة دزيرية مُغطاها شعر تستحي من شمس وتقابل لقمر"، وحله "العين"، "زوج وقوف وثالث يطلب في لمعروف[2]"، ويقصد بع على آلة "الخطارة" مكونة من ثلاث أعمدة خشب، كانت قديماً تستعمل لسقي الزرع.

ومن الأنشطة الثقافية بوادي سوف الألعاب الشعبية، التي تعتبر متنفس ثقافي ترفيهي لكل فئات المجتمع و صغار وكبار، رجال ونساء، والألعاب الشعبية متعددة ومتنوعة منها: لعبة القوس وتصنع من جريد النخل، يلعبها الرجال في الهواء الطلق، الخربقة وهي لعبة فكرية، السرسيبة وتكون بالتزحلق على الرمال، السيق الغميضة، تسلق النخيل، سباق الخيول، بالإضافة كذلك إلى المهرجانات الثقافية المقامة بالولاية كمهرجان عرس المدينة، والاحتفالات الوطنية المختلفة.

وعليه فأرض وادي سوف تتميز بأنها أرض رملية تمتاز بالحرارة الشديدة صيفًا والبرودة الجافة في الشتاء، أما البناء فيها فقد أبدع الإنسان السوفي في بناء عماراتها وتصميم قبابها بعبقرية وذكاء جعلته يتغلب على تقلبات الجو فيها، وهو نفسه الذي حول الصحراء القاحلة إلى واحة خضراء فيها النخيل الباسقة التي تجود بأحلى أنواع التمور في العالم، والمجتمع السوفي عبارة عن تداخل عدة أجناس وشعوب متداخلة مما أثر ذلك على مكونات الثقافة في المجتمع السوفي وأعطاها طابعاً متميزاً عن غيرها من ولايات الوطن.

[1] - بن علي محمد الصالح، موسوعة الأمثال والحكم السوفية، ص18.
[2] - مسعودة فائزي، الدبيلة، 2020/06/25، الساعة 16:30 مساء.

الفـــــصل الأول:

التأصيل المفاهيمي للمصطلحات: العادات، التقاليد،الاحتفال، الفرجة

أولاً: دلالة العادات الشعبية:

1-مفهوم العادات الشعبية

2-أقسام العادات:

3-خصائص العادات

ثانياً: دلالة التقاليد الشعبية:

1-مفهوم التقاليد الشعبية

2-أشكال التقاليد

3-خصائص التقاليد

4-الفرق بين العادات والتقاليد

ثالثاً: مفهوم الاحتفال ودلالته:

1-مفهوم الاحتفال

2-أشكال الاحتفال

3-خصائص الاحتفال

4-الاحتفال في الذاكرة الشعبية بوادي سوف

رابعاً: الفرجة الشعبية وعلاقتها بالاحتفالات:

1-مفهوم الفرجة

2-علاقة الفرجة الشعبية بالاحتفال

3-أهمية الفرجة.

إذا كان الضبط الاجتماعي في الدولة العصرية مرتبطا بالقضاء والقانون وأجهزة الأمن وكذلك الجوانب التقليدية كالوازع الديني والأخلاقي، فإننا نجد في المجتمعات التقليدية وسائل أخرى أهمها العادات والتقاليد[1]، التي تعتبر المحور الأساسي في التراث الشعبي والوعاء الرحب الذي يحتضن كثيرا من المعتقدات والمعارف والفنون، وعلى صلة وثيقة بالجوانب المادية من التراث فلهذا كان تركيز الباحثين في أنحاء المعمورة ينصب على دراسة العادات والتقاليد، وكذلك الأعراف، فهي الخزان الأكبر لمنظومة القيم التي تحكم سلوك الفرد والجماعة، وتوجه مسار الحياة اليومية للمجتمع[2].

فلكل شعب من شعوب العالم عاداته وتقاليده التي تميزه عن باقي الشعوب، وكثيرا ما تكون هذه العادات وليدة حكاية شعبية، أو أساطير يتناقلها الأحفاد عن الأجداد، ويتمسكون بها خوفا من ضياعها في متاهات التقدم والحضارة[3].

وعليه فالعادات والتقاليد جزء من الثقافة الشعبية المجتمعية، ترتبط غالبا مع حالة زمنية قديمة خاصة بكل مجتمع لكل دولة في أنحاء العالم، مع اختلاف الجنسيات والاهتمامات والأديان بين البشر، وهذا ما يؤدي إلى ظهور إشكالية عدم الوصول إلى مفهوم واحد للعادات والتقاليد، فما هو مفهومها؟ وفيما تتمثل خصائص كل من العادات والتقاليد؟ وما الفرق بين المصطلحين؟.

1-أحمد زغب،الفولكلور - المنهج، النظرية، التطبيق -، دار هومة، الجزائر، د ط، 2015 م، ص 19 .
[2] -محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي - توثيق، مقترحات، آفاق -، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، دمشق، د ط، 2003م، ص78 .
[3] -أديب أبي ظاهر، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الكاتب العربي، ط1، 1993م، ص09.

أولاً: العادات الشعبية:

1-مفهوم العادات الشعبية:

أ-**لغة:** عُرفت العادة في كثير من المعاجم العربية نذكر منها:

وردت العادة عند أحمد الفراهيدي بمعنى: الدّربة في الشيء، وهو أن يتمادى في الأمر حتى يصير له سجيّة، ويقال للرّجل المواظب في الأمر معاود في كلام بعضهم: الزاموا تقى الله واستعيدوها أي تعودّها، ويقال معنى: تعود: أعياد.

قال الرّاجز: لا تستطيع جرّة الغواميض إلا المعيدات به النّواهض.

يعني النوق التي استعادت: النهض بالدّلو[1].

أما ابن منظور فالعادة عنده من (عود):" تعود الشيء أعاده، وعاوده معاودة، وعوادا واعتاده واستعاده؛ أي صار عادة له: أنشد ابن الأعرابي:

لَمْ تَزَّل تَلك عَادة الله عَنَّدِي وَاَلْفتّى آلفْ لَهْا يَسّتعيدْ.

وَقَالْ: تَعْودَ صَالِح اَلْأَخْلاق إنِي رَأْيَتُ اَلْمَرءُ يَألفُ مَا اسَّتَعَادْا.

والعادة: الدّيدن يعاد إليه، وجمعها عاد وعادات وعيد، إنما العيد: ما عاد إليه من الشوق والمرض، والمعاود: المواظب على الأمر الأول، يقال للشجاع بطل معاود؛ لأنه لا يميل المراس والمعاد المصير، والمرجع، والآخرة: معاد الخلف[2]."

كما وردت عند الفيرزآبادي: عودّ ج عادّ، وعيد، وتعوده، وعاوده، معاودة، وعوادا، واعتاده واستعاده، جعله من عاداته، وعوده إياه، جعله يعتاده، والمعاود: المواظب، استعاده: سأله أن يفعله ثانيا، وأن يعود أعاده إلى مكانه: أرجعه، والكلام كرّره[3].

---

[1] -الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج3، ص 249.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج6، ص317 .

[3] -مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، معجم العين، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوشي، مؤسسة الرسالة للطباعة ولنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005م .

وفي المعجم الوسيط (العادة) كل ما أعتيد حتى صار يفعل من غير جهد، والحالة تتكرر على نهج واحد[1]، أما في دائرة المعارف في القرن العشرين العادة: من (عاد) يعود عوادا رجع (عاد المريض) زاره، و (اعتد القوم) شهدوا العيد، (أعاده) أرجعه، و(عاد) الرجل من قدماء العرب، و به سميت قبيلة بني عادا الذي أرسل الله إليهم هودا عليه السلام، و (العادة) ما يعتاده الإنسان[2].

من خلال التعريفات اللغوية السابقة، نستنتج أن (العادة) لها نفس المدلول في مختلف التعريفات، وتعني العودة والرجوع والتكرار في فعل السلوك، والمواظبة عليه، كما أنها الأنماط السلوكية المكتسبة عن طريق التعود والتكرار.

ب-اصطلاحا:

اختلف المفكرون والباحثون في المفهوم الاصطلاحي للعادة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية لها أهمية كبيرة داخل المجتمع ، فعرفها هولتكرانس باعتبارها:" سلوك أو نمط سلوكي تعده الجماعة الاجتماعية صحيحا وصيبا، وذلك بسبب مطابقته للتراث الثقافي القائم ".

ويعد مصطلح العادة من المفاهيم الأساسية في الدراسات الأثنولوجية، ومنها تعريف مالينوفسكي بقوله:" إن العادة هي أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليديا على أفراد المجتمع المحلي" ، وأوضح ريل Riehl أن السلوك يتحول إلى عادة عندما يثبت من خلال عدة أجيال يتوسع وينمو[3]".

وهي:" ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، هي حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي، فنصادفها ف كل مجتمع تؤدي الكثير من الوظائف الاجتماعية الهامة عند الشعوب البدائية، كما عند المتقدمة، عند الشعوب في حالة الاستقرار وفي حالات الانتقال

[1] -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص635م .

[2] -محمد فريد وجدي، دائرة المعارف في القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مج7، ص775 .

[3] -محمد محمود الجوهري وآخرون، المأثورات الشعبية - جمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية -، مطبعة الوراق، قطر، د ط، 2013م، ص114م.

والاضطراب والتحول، وهي موجودة في المجتمعات التقليدية التي يتمتع بها التراث بقوة قاهرة، وإرادة مطلقة، كما أنها استطاعت أن تحافظ على كيانها ووجودها في ظل المجتمعات العلمانية المتطورة، وابتكرت صور جديدة تناسب العصر[1]".

كما أن العادة تعبر عن سلوك معين يختاره الفرد والجماعة لأنفسهم، ومع مرور الزمن أصبح فعلا ثابتا تتناقله الأجيال وراثيا[2]، وتتمثل في طرق معينة للسلوك في مواقف محددة، ويمكن أن يكون بعضها بقايا الطقوس، أو اختلافات تاريخية عريقة، أو لوظائف مهنية قديمة وغير ذلك[3].

وهي أيضا:" كل حركة أو فعل أو قول يبدر من أي شخص ثم يتكرر منه، ويعاد في كل مناسبة ليصبح لهذا الشخص عادة[4]."، ونجد أن الأنثربولوجين اهتموا بها على أساس أنها تساعد في تكوين أنماط الأفعال ونماذج الأفكار، خاصة بالأفعال الروتينية اليومية للحياة والقواعد المستخدمة بطريقة نمطية، مثل الأفعال المتكررة للأنماط الثقافية[5]، لذلك يمكن اعتبار العادة أنها: أنماط من السلوك تنتقل من جيل إلى آخر، وتمكث مدة طويلة، حيث تثبت وتستقر فتصل إلى اعتراف الأجيال المتعاقبة بها، فهي تصرف يستعمله الشخص ولا يكتسبه بالوارثة، فهي صفات تسببها عوامل بيئية[6].

وعليه فإن العادة الشعبية مرتبطة بسلوك الأفراد وأقوالهم وأفعالهم الخاصة بمظاهر الحياة ومع تكرارها تترسخ في ممارستهم اليومية.

---

[1] -محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2006م، ص37 .

[2] -اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر - عادات الزواج والختان -، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018م، ص41 .

[3] -جمال مجدي حسنين، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2005م، ص117 .

[4] -علي الزين، العادات والتقاليد في العهود الإقطاعية، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2005م، ص07

[5] -فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي - دراسة ميدانية -، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2008م، ص16 .

[6] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص43 .

2- أقسامها: تنقسم العادات إلى:

أ-العادات الفردية: وهي ظاهرة شخصية، يمكن أن تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع؛ حيث يُكون الإنسان مجموع عادات تمشي على الأرض، بل أحيانا قيمته تعتمد في بعض الأحيان على عاداته، فطريقة لباسه ونظافته وكلامه ومشيته، وحتى أكله وشربه، وعقله من تهذيب وتربية، وما شابه كلها فردية تسهم في نجاحه وانسجامه مع الحياة، كما أن الغريزة تعتبر أصلا من أصول العادة وذلك بفعل التكرار والتواتر، فالغريزة هي الواقع الفطري الأول، والعادة هي الدافع الثاني إلى التكرار[1].

ب-العادات الجماعية: إذا نشأت عادة تبعاً لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير، فمن الممكن أن تكون جماعية، فهي مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك، التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر السلوك، يتوافق مع ما يرتضيه المجتمع، ولا يمكن للإنسان مخالفتها، وهي تملك السلطة على الفرد؛ لأنها متعلقة بتحقيق النظام والتوازن في المجتمع البشري[2].

وتحدث ابن خلدون في مقدمته عن أهمية العادات الاجتماعية في قوله:" إن أهل البداوة أقرب إلى الشجاعة من الحضر، وأصل أن الإنسان ابن عوائده، لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً وملكة وعادة تنزل منزل الطبيعة والجبيلة ..."[3]

وتنقسم العادات الجماعية إلى:

-عادات قديمة متوارثة عبر الأجيال، مرتبطة بالماضي تحافظ على الموروث الثقافي، مثل كيفية القيام بحفلات الزفاف وغيرها.

---

[1] -عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة - المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة -، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص152م .

[2] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص152 .

[3] -عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الجوزي، مصر، ط1، 2010م، ص104 .

-عادات حديثة، وتسمى بالموضات فهي ممارسات جديدة تدخل المجتمع ويتقبلها الناس؛ لكنها أحيانا غير دائمة، وتزول بزوال صاحبها أو الظروف التي أوجدتها، مثل استعمال قاعات الأفراح في الأعراس[1].

إذن تنقش الجماعة عاداتها في طبائع الصغار القابلة للتشكيل عن طريق التعليم[2] وتنطوي العادات الاجتماعية والخاصة على فعل مادي ملموس ومعتقد مشترك، أما العادات الاجتماعية التي اكتسبت قدر كبير من القوة السحرية والمقدسة فهي تعرف باسم الطقوس[3*] ويؤدي اشتراك وحدات اجتماعية كبيرة في الأعمال وعمليات الترفيه العامة إلى نوع آخر من العادات الاجتماعية الشعبية، التي تعرف باسم الأعياد والاحتفالات، وقد تدخل فيها الرقص والموسيقى والأزياء التقليدية الخاصة، والمنصات ومواكب الاحتفال بالأعياد التي ترتكز على تراث ديني ودنيوي على حد سواء [4].

3- خصائصها: تميزت العادات الشعبية بجملة من الخصائص أهمها:

-فعل اجتماعي: لأنها من صنع المجتمع تنتج عن تفاعل أفراده مع بعضهم البعض، وتشترك -فيها الجماعة .

-تاريخية الطبع: يسجلها التاريخ الإنساني، لأنها تمثل تراثاً شفهياً اجتماعياً تتناقله الأجيال ويتوارثونه فيما بينهم[5].

الاتصال بنواح الأسطورة: كالاعتقاد بأن أرواح الأجداد قد تغضب إذا حاولنا تغيير عاداتهم أو يصيبهم مكروه، وهناك من العادات تتصل بالأماكن المقدسة، وهذا ما يجعل الناحية الأسطورية غالباً عليها كالدوران بالعروس حول ضريح الولي للبركة، أو أخذ المولود الجديد لزيارة ضريح

---

[1] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص48 .

[2] - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ص153 .

*الطقوس مجموعة من السلوكات والأفعال والأقوال التي يقوم بها الإنسان بصفة متكررة، يتفق عليها المجتمع ذات علاقة بالدين والسحر والمعتقد الاجتماعي' يحدد العرف الاجتماعي دوافعها وأغراضها .

[3] -ريتشارد دورسون، نظريات الفولكلور المعاصر، ترجمة: حسن الشامي ومحمد الجوهري، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، ط1، 2007م، ص23 .

[4] - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ص25.

[5] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص48 .

الولي الصالح؛ لأن هذه الأساطير لها علاقة بالماضي ناتجة عن تجربة الإنسان، حيث خبرته كانت محدودة لتفسير الأمور فلجأ إلى مخيلته لحل هذه الأمور المستعصية، ومع مرور الزمن اتصلت هذه الأساطير والخرافات بالحياة اليومية وأصبحت جزء من التراث الثقافي للمجتمع ونشأت عادات خرافية لطمأنينة الفرد وتهيئته لمواجهة الأحداث [1].

– معيارية: بمعنى أنها تتطلب الامتثال الاجتماعي والقبول والموافقة الاجتماعية، فهي تصل أحياناً إلى الطاعة المطلقة، فهي بذلك رائدة للقانون وتوقف العادات الاجتماعية على ظروف المجتمع، تختلف حسب مجتمع وآخر وبحسب الأزمنة المختلفة[2] .

– تلقائية: بحيث وجدت بطريقة تلقائية لا شعورية، أوجدها الوجدان الشعبي، وبذلك تبقى ضرورة اجتماعية حتمية تربط بين الأفراد وتعرفهم على ماضيهم .

– الإلزام والجبرية: فهي تمارس سلطة على الأفراد، لأنهم ملزمون على القيام بها والخضوع لها دون استفسار عن أسباب حدوثها[3] .

– ترتبط العادة بظروف المجتمع الذي تمارس فيه، بمعنى أنها مرتبطة بالزمن أو مناسبة زمنية معينة، كالعادات المرتبطة بتتابع وتعاقب فصول السنة، مثل رأس السنة الهجرية وعاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم والاحتفال بموسم الحج....، وكذلك ترتبط بمواقف أو أحداث معينة في حياة الفرد أو المجتمع كالميلاد والزواج[4]. كما تتخذ العادات أشكالاً وصوراً متعددة التي تغطي حدود الزمن، كالمناسبات المرتبطة بتتابع العام سواء تقويمها شمسياً أو قمرياً والمواسم وفقرات الانتقال والأوقات الحرجة والتاريخ والذكريات....الخ [5].

– التنوع والنسبية: فالعادات الاجتماعية متنوعة ومتغيرة من منطقة إلى أخرى في طريقة ممارستها، فهناك من يبالغ فيها، وهناك من يمارسها على حالها كالاحتفال بالزواج كان لعدة أيام

[1] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص50 .
[2] - فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، ص78 .
[3] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص49 .
[4] - محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ص39 .
[5] -المرجع نفسه، ص40 .

فأصبح يحتفل به في يوم واحد وغيره، فلكل مجتمع طريقته في ممارسة العادات الاجتماعية تتناسب وقيمة ومعاييره وظروفه.

– الاستمرار والدوام: فقد يتغير شكل العادات الاجتماعية، لكنها تحافظ على مضمونها، فهي تبقى محفوظة في الذاكرة الجماعية، ودوام العادات يأتي من طابع القداسة التي يطبعها وتتصف به [1].

ثانياً: التقاليد الشعبية:

1– مفهوم التقاليد الشعبية:

أ–**لغة:** جاء في معجم العين: قَلَدَ القَلْدُ: إدارتك قُلْبًا على قُلَبْ من الحُلي، ولو دققت حديدة ثم لويْيتها على شيء فقد قلدتْها، والمقيلادُ: الخزانة، ويجمع مقاليد، وتقلدت السيف والأمر ألزمته نفسي[2].

أما في لسان العرب مادة (قَلَدَ): يقال قلدتُ أقلدُ قلداً، بمعنى جمعت ماء إلى ماء، ورجل مقلدُ مجمعُ، والمقْلدُ: عصا فيها اعوجاج، والجمع المقاليد، والمقاليدُ الخزائن، وقلد فلاناً عمل تقليدً ومنه التقليد في الدين وتقليد الوُلاة الأعمال، وتقلد الأمر: احتمله[3]. و هذا نفس ما ورد في القاموس المحيط للفيروزآبادي (قلد) من التقليد الولاة الأعمال، وتقليد البْدَّنة شيئا يعلم به أنها هَدْي[4]، و(قلّد) قلّده العمل فوضه إليه، وقلده في الأمر: تبعه من غير نظر[5]، و(قَلَدَ) الشيء قَلْدُا: لواهُ، ويقال قلّد فلانا نعمة أعطاه عطية أو أسد إليه معروفاً، و(التقاليدُ): العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف، مفردها تقليد[6].

فالتقليد في المعنى اللغوي يعني اللزوم والمواظبة على الشيء، والإتباع في القول أو الفعل.

---

[1] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص51 .
[2] -الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج3، ص223.
[3] -ابن المنظور، لسان العرب، مج2، ص367.
[4] -الفيرزآبادي، القاموس المحيط، ص312.
[5] -محمد فريد وجدي، دائرة المعارف في القرن العشرين، مج 7، ص922.
[6] -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص754.

ب-اصطلاحا:

عرف الجرجاني التقليد بقوله:" عبارة عن إتباع الإنسان غيره، فيما يقول أو يفعل معتقدا للحقية فيه، من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قوة الغير أو فعله قلادة في عُنقه والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل[1]"، وعرفه الإمام الغزالي بأنه:" قبول قول بلا حجة، وليس ذلك طريقا إلى العلم لا في أصول ولا في فروع[2] ".

كما عرفها آيكة هولنكراس بقوله:" التقليد نمط سلوكي يتميز عن العادة بأن المجتمع يقبله عموما دون دوافع أخرى عدا التمسك بسنن الأسلاف [3]".

أما عند السوسيولوجين، فالتقليد يعبر عن ارتباط حاضر المجتمع بماضيه ويشكل أساس مستقبله، فهكذا يعبر عن ارتباط الإنسان الاجتماعي بتراثه المادي الروحي، ومحاولة بعثه من جديد عن طريق إنتاجه مادياً أو روحياً [4].

وهي أيضا مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجماعي، وتستمد قوتها من المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل[5]. والتقاليد في نظر فاروق أحمد مصطفى هي:" المحاكاة لسلوك القدامى تنتقل وتورث من جيل إلى جيل، ترسم لنا الأساليب والتصرفات التي تتيح التعاون والتفاعل؛ بحيث تمارس ضغطاً قد يصعب على البعض التخلص منها، لأنها تتداخل في كل أنواع النشاط المتبادل بين أفراد المجتمع[6] ".

فهي إذن كل ما اتفقت عليه الجماعة، ودل على الماضي والقديم، حيث تتناقل التقاليد من السلف إلى الخلف.

---

[1] -علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق النشاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص58.

[2] -أبو حامد الغزالي، المستصفى، دار صادر، د ط، د ت، ج2، ص238.

[3] -آيكة هولنكراس، مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، لبنان، ط2، 1973م، ص120.

[4] -عبد الغني عماد، سيوسولوجيا الثقافة، ص154.

[5] -المرجع نفسه، ص155.

[6] -فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، ص77.

2- أشكالها: نذكر منها :

أ- التقاليد الشفاهية: وتتناقل عن طريق الشفاهي، كالخرافات والأساطير والقصص، وتتمثل هذه التقاليد في الأمثلة السائدة والكلمات المشهورة .

ب- التقاليد المكتوبة أو المدونة: وظهرت هذه التقاليد قبل الكتابة وتتمثل في رموز تحمل معنى خاص عند الجماعة، وكذلك الآثار والمخلفات والمؤلفات المكتوبة التي تتركها الجماعة .

ج- تقاليد تنتقل بالتجربة: وتتمثل فيما يقوم به الأفراد في الجماعة من طقوس وممارسات في مختلف أنشطة حياتهم اليومية، ومناسباتهم الاجتماعية، فهي تنتقل مباشرة بين الأجيال عن طريق الملاحظة والمحاكاة والممارسة[1] .

وعلى الرغم من أن التقاليد تمارس ضغوطاً على الفرد بإعتباره آلية من آليات الضبط الاجتماعي، إلا أنها تعمل على تماسك المجتمع وحفظ النظام بين أفراد المجتمع .

3- خصائصها: تتميز التقاليد الشعبية بجملة من الخصائص منها:

-متوارثة: تعتبر أهم ما يتوارثه الأجيال، فهي تنتقل من السلف إلى الخلف "لذلك كان من أصعب دور كلف به الأنبياء والرسل تغيير عادات القوم المتوارثة، أي تقاليدهم".

-مقصودة: فالتقاليد ليست اعتباطية، فطريقة نقلها من السلف إلى الخلف -تكون بطريقة معتمدة ومقصودة بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية ويتقبلها الخلف- ويحرضون على القيام بها .

-ثابتة: فمن الصعب أن تتغير، لأننا نتمسك بها فهي تأتينا من عند أجدادنا وآبائنا، فنحتفظ بها وتستقر في سلوكنا ولا يمكن تبديلها[2].

-وديعة: بمعنى يتمسك بها الجيل الجديد عن القديم على شكل وديعة، فعند القيام بها يشعر الفرد بالراحة والاطمئنان، لأنه امتثل سلوك العام للمجتمع، فبهذا يكتسب رضى الجماعة التي يعيش فيها.

[1] -راضية جرمون، العرف الاجتماعي مذكرة ماستر مخطوط، جامعة الشهيد حمه لخضر،الوادي ، 2015/2014م، ص43.
[2] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص62.

– رمزية: فالجماعة تحتفظ بوحدتها وتماسكها من خلال شعائر ورموز تعمل على أن تغرس في نفوس الأفراد، لما تحمله من معاني ودلالات لها دور كبير في تدعيم التربية الاجتماعية، عن طريق صيانة الآداب العامة الضابطة وتصرفات الأفراد المنتهية إلى جماعة ما أو مؤسسة.

–القهر والإلزام: لأنها تفرض قهرا وإلزاما من خلال الجزاءات التي تنظر كل من يخرج عنها أو يتجاهلها، فهي بهذا تشكل دستوراً يقوم عليه النظام الاجتماعي[1].

4– الفرق بين العادات والتقاليد الشعبية:

قد تستعمل العادات والتقاليد الشعبية بشكل مترادف وهذا ما أكده مالينوفسكي، أما هولتكراس يرى أن الباحثين والدارسين للتراث الشعبي غالباً ما يفرقون بين العادات والتقاليد[2]، معتبرين بذلك أن التقاليد أقل إلزاماً للفرد من العادات، وأن الفرد يلتزم بها فقط شكلياً من أجل الحفاظ على التراث الوطني، بينما تعتبر العادات أكثر أهمية وجدية ، ويكتب إدوارد سابيير في هذا الصدد: تستخدم العادات لدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي يحملها التراث، ويستمر احترامها لدى الجماعة في مقابل النشاط العشوائي للشخص .

وكذلك كتب سيايز فيليكس من جانبه: يجيب ألا يسمى عادة إلا ما كان حيا منبعثاً من الوعي الجماعي الموجه للمجتمع [3].

ومن أهم **الفروق** بينهما نذكر:

–أن العادة الشعبية سلوك جمعي عام متكرر، بحاجة أمنية أو صحية أو تربوية أو ترفهيه في بيئة ما، بتأثير أفكار معرفية أو اعتقاديه، أما التقليد الشعبي بدايته غالبا بعمل مبتكر من أحد المبدعين ينال العمل الجديد استحساناً من المهتمين بها، فيتبعونها فتصير تقليداً متبعاً شائعاً له حكم القانون [4].

---

[1] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر، ص63.
[2] -محمد الجوهري وآخرون، المأثورات الشعبية، ص115.
[3] -مريم لمام محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة ولاية الوادي-' بين الاستمرار والتغيّر-، مجلة إنسانيات (المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية)، العدد 59، 2013م، ص08.
[4] -محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، ص78.

-تتغير العادات باستمرار بفعل الاحتكاك بالغير، بينما التقاليد فهي ثابتة تحفظ تماسك الجماعة ثقافيا، بالاستناد إلى معطيات ثابتة على صعيد المعتقد الديني، أو القاعدة الاقتصادية السائدة أو المعطيات البيئية والجغرافية العامة .

-العادة لا يحتاج تغييرها للكثير فلقاء مع ثقافة أخرى عن طريق الاحتكاك المباشر كفيل بذلك أما تغيير التقاليد يحتاج عادة إلى كسر في النظام السياسي والاقتصادي القائم، مثلما ما حصل إبان الثورة الصناعية بأوربا في ق 19 [1].

-يرافق التقليد سلسلة من العادات يمكن لناس استبدالها بسهولة دون إثارة ضجة تذكر، مثل العزاء فهو خاضع لإمكانية التغيير حسب كل مجتمع من حيث اللباس، تناول الطعام، إعلان الخبر ...، فالتغيير لهذه الأمور يتم بطريقة لا شعورية، فهي حسب سمبر (Sumner) قوة في ذاتها، حيث يمكن القول إنه ليست هناك عقيدة أو قانون أو دليل علمي يمكن أن يسيطر على الناس سطوة لاعتياد على عمل معين، تلازمه مشاعر وحالات نفسية شبوا عليها منذ طفولتهم الأولى .

-العادات تتغير بسهولة نسبياً، لكن كل تغيير جوهري على التقليد يعتبر كسراً للبنية ككل ويثير الاستنكار، كدفن الميت دون الصلاة عليه [2].

وعليه فالعادات الاجتماعية أنماط سلوكية ألفها الناس وارتضوها ويسيرون على هديها ويتصرفون بمقتضاها دون التفكير فيها، وهي تختلف من مجتمع إلى آخر وفقاً لظروفه وخصائصه وسماته التي تميزه، أما التقاليد فهي أنماط سلوكية ألفها الناس وتوارثوها ويشعرون نحوها بقدر كبير من الاحترام، ولا يفكرون في العدول عنها أو تغييرها .

وتحظى العادات والتقاليد بأهمية بالغة، وذلك لارتباطها بالمواقف الاجتماعية التي تؤثر في حياة الجماعة والفرد على حد سواء، وهذا التأثير يحفظ استمرارها وبقاءها في المجتمع ويواكب

[1] -ينظر: عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ص155.
[2] - المرجع نفسه، ص156.

التغيرات الواقعة فيه، والعادات والتقاليد ليس جزء من الماضي فحسب، إنما فرضت وجودها كظاهرة اجتماعية تستحق الدراسة والاهتمام.

ثانياً: مفهوم الاحتفال ودلالته :

إن الاحتفال بمختلف المناسبات، ليس مجرد عادة ترفيهية يتبعها المجتمع، وإنما توجد لها أهداف أبعد وأسمى، مع وجود اختلاف في طريقة الاحتفال بين مجتمع وآخر، وهي قديمة بقدم الإنسان.

ومع مرور الزمن كان للاحتفال وظائف متعددة ومتغيرة من تطهير وخرق لقوانين الاجتماعية والسياسية والدنية، تدعو لإنشاء عالم مغاير من كل الاتجاهات.

1-مفهوم الاحتفال:

أ-**لغة:** الاحتفال من الفعل الثلاثي (حفل) عند الفيرزآبادي: (حَفَلَ) الماءُ واللّبَنُ، يحَفلُ حَفلاً وحُفولاً، وحفيلاً: اجْتَمَعَ كتحفلَ واحتفلَ، والقومُ حفلاً، اجْتَمعَوا، كاحْتَفَلو، وتَحفلَ تزيّن، والمجلسُ: كثر أهلهُ، وجَمْعٌ حَفْلٌ وحَفيلٌ: كثيرٌ، والمحْفلُ كمَجْلس: المُجَتمعُ، كالمُحتفَل والاحتفالُ الوضُوحُ، ورجْلٌ حفيلٌ وذو حفل وحفلة مبالغ فيها، وأخذ للأمر حفلته: جدّ فيه، والتحفيلُ: التْزيينُ، وبه يحفلُهُ، واحتفل به: مابال، واحتفل الطريق بان وظهر[1]. أما في معجم العين: حَفَلَ الماءُ حُفُولاً وحَفْلاً: أي اجتمع في محَفْله، واحتفلوا أي: اجتمعوا ويقال: تعالوا بأجمعكم، الأحْفَلَى يُريد الجماعة قال: نحن في المشتاة ندعو الأحفلى *** لا ترى اللآدب فينا ينتقرْ

ومنها بالجسم الجُفاله من الناس أي الجماعة، والتحفيلُ: التْزيينُ[2].

وفي المعجم الوسيط: حَفَلَ الماء واللبنُ: حَفولاً: اجتمع، والقوم احتشدوا والدمع كثر، والسماء اشتد مطرها. احتفل الشيءُ: اجتمع، وتحفل المجلسُ: كثر أهله.(الحَفَلُ): الجمع العظيم، (الحفْلَةُ): الزينة، والاحتفال: يقال أقام له حفلة استقبال، والمبالغة في الأمر والاهتمام به[3]، وعند أبي بكر

[1] -الفيرزآبادي، القاموس المحيط، ص585.
[2] -الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج1، ص337.
[3] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص186.

الرازي في مختار الصحاح: (حفل)، حفل القوم من باب ضرب، واحتفلوا اجتمعوا، واحتشدوا عنده حفل من الناس؛ أي جمع[1].

من خلال الدلالات اللغوية نلاحظ أن كلمة "احتفال" تعني التجمع والاجتماع والتزين، ففي كل حفلاً هناك جمعاً من الناس يحتفلون بادئ على مظهرهم الزينة، والمكان الذي يقام فيه الحفلة.

وعند الغرب كلمة الاحتفال cérémonie مأخوذة من اللاتينية التي تعني:" الصفة المقدسة والاحتفال هو فعل على درجة من الوقار والجدّية يرمي إلى تكريس عبادة دينية كالقداس، أو مناسبات اجتماعية كالأعياد القومية، أو رياضة كالألعاب الأولمبية"[2].

من خلال التعريف الغربي نلاحظ تركيزه على الصفة القدسية، وشمل كذلك عنصر المشاركة فيه، وهنا يلتقي مع التعريف العربي وهو التجمع والاجتماع.

ب-اصطلاحا:

الاحتفال عبارة عن إجراءات مقررة ذات طبيعة تتصف بالرسمية والوقار[3]، وهذه الاحتفالات ممارسات اجتماعية تعبر عن شعور وأحاسيس الناس، تجمع بين الطقوس والشعائر والرموز، كما أنها توحي بالفرحة وتعبر عن الابتهاج تمارس في مختلف المناسبات وتختلف باختلافها[4]، وتتفاوت بتفاوتها في سمو المعاني التي تقام لأجلها، فبقدر سمو السبب وعموميته تكون قيمة الاحتفال وأسس هذه الأسباب بها يفكر الجمهور بأمجاده التاريخية ومفاخره القومية[5].

وعرف باتريس بافيس الاحتفال بقوله:" قد تنسى في بعض الأوقات إن الاحتفال هو الشكل الوصفي للعيد، ففي أثينا كانت الاحتفالات بالإله ديونيزوس تقام كل عام في أيام معلومة، حيث توجد التسلية والمرح والالتقاء، وقد حافظ الاحتفال في ذلك الوقت على الكثير من قدسيته وخاصيته الاستثنائية، عكس ما نراه اليوم؛ حيث أفرغ محتواه والمعنى القدسي للاحتفال[6]".

---

[1] -أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الكلية، مصر، ط1، د ت، ص410.
[2] -ماري إلياس وحنان قطاب، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص30.
[3] - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ص156.
[4] - اسعد فايزة زرهوني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر ، ص47.
[5] -وزارة المجاهدين، مواقف الإمام الإبراهيمي، عالم الأفكار، الجزائر،د ط، 2015م، ج2، ص363.
[6] -مصطفى شاكر سليم، قاموس الأنثربولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1981م، ص161.

إذن فالاحتفال تجمع عدد من أفراد المجتمع، بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة بفعاليات منظمة رمزية تؤدى في مناسبات معلومة ذات طابع ديني[1].

2-أشكال الاحتفال:

أ- احتفالات العبور(الاجتماعية): والاحتفال بالعبور هو الانتقال من حالة إلى حالة، ويصحب عادات وتقاليد وطقوس واختبارات تفرض إلى اختبارات تفرض على الشخص، الذي ينقل من مرحلة إلى مرحلة أو يتحملها طائعا (كثقب الأذن أو الشفة أو إجراء عملية الختان...) وكان الشاب المتزوج لدى بعض الشعوب البدائية يختبر على مرا الجميع على العمل الشاق واحتمال الجلد بالسياط أو قتل وحش، ليصبح قادراً على تحمل المسؤولية، وعلى المحتفل أن يثبت جدارته لاجتياز العبور[2]، ومن بين هذه الاحتفالات عند مختلف الشعوب حفل الاختيار، وهو اختيار الفرد المرحلة التي ينتمي إليها لينتمي إلى فئة أرقى اجتماعيا فقد كان يحتفل بالعروسة بتقديم القمح لها و الطاحونة الحجرية التقليدية، ويطلب أن تطحن قدرا من القمح لملاحظة قدرتها على الانتقال من فئة الصبايا إلى فئة النساء المتزوجات، وتجتمع النساء حولها لتشجيعها وشهادة الحضور لأداء الفعل-الطحن-.

ويكون الاحتفال فيه اجتماع لناس واعتراف المجتمع بهذا الانتقال، كما في عقد القران الذي يشترط الدين الإسلامي شاهدين عدلين، غير أن المجتمعات الشعبية تسعى جهدها لإحضار أكبر عدد ممكن من الناس، ويعتقدون أنه كلما حضر الشهود أكثر حلت البركة وتوج الزواج بالنجاح.

وكذلك في حفل ختان الأطفال، وهي عادة شائعة عند العرب في الجاهلية وعند المسلمين واليهود والفراعنة المصريين، ومن الدارسين من يعتبرها اختبار للقدرة على تحمل الألم، وهناك من يعتبرها قربان دم لإله الخصب[3]، وقد جرت العادة في بعض الأقطار العربية لختان الولد يتجمع الأهل والأقارب من كل الأعمار لإقامة حفل يتم فيه بإلباس الصبي لباس تقليدية جديدة، ويطوف

---

[1] -أحمد زغب، الفولكلور، 39.

[2] - ينظر: عبد الحميد يونس، معجم الفلكلور، د ط، د ت، ص334.

[3] - المرجع السابق، ص41.

به أهله على ظهر جواد ويحف به الرجال على الجانبين حتى لا يسقط من ظهر الجواد، ويحملون مناديل معطرة يرشونها بها ويسير في موكب تتقدمه الطبول والدفوف والأغاني التي تتردد في هذه المناسبة ويطلقون البخور، ويلجأ البعض إلى تغطية وجه الصبي اتقاء لعين الحسود، وكثيرا ما تتم عملية الختان في الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسم أو ليلة القدر، وتذبح الذبائح ويوزع لحمها على الفقراء[1].

وفي بعض الحرف التقليدية يحتفل بانتقال الشاب المتعلم طور تعلم الحرفة إلى امتهانها، فيجتمع جمع الناس يطلب منه إثبات قدرته على اكتساب العمل، أو توجيه أسئلة إليه لتبين مدى نباهته ومن ثم ينتقل من فئة المتعلمين إلى فئة المحترفين.

ب-الاحتفالات الدينية: المناسبات والولائم والأعياد الدينية توجد في كل المجتمعات سواء كانت بدائية أو متحضرة ويجتمع فيها عدد من الناس، وترتبط لدى الكثير من الشعوب بمعتقدات دينية والتقرب إلى الله كصلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث النافع لدى المسلمين، وقد يسبق هذه الأعياد عبادة شاقة للتطهر من الذنوب كالصوم والحج[2]، ونجد أيضا الحفل المراسمي، فيكون بالتعبير عن وجهات النظر المشتركة بفعاليات منظمة ذات طبيعة رمزية يؤدي في مناسبات معلومة غالباً ما تكون دينية، ومنها الطقوس الاحتفالية التي كان يقوم بها الإنسان البدائي لتقرب من الآلهة[3].

ومن ذلك أيضا نجد حفلة تجديد حياة الحيوان، وهي حفلة طقسية تقيمها كثير من الشعوب البدائية لضمان زيادة توالد فصيلة معينة من الحيوان، وتقوم على الصيد وجمع الغذاء، وتكون هذه الحفلة خاصة بقبائل استراليا الأصلية[4]، وكذلك رقصة الثور فهي رقصة احتفالية، كانت تؤديها القبائل الهندية الأمريكية، ويقوم بالرقصة رجال يلبسون جلود الثيران[5].

فالمؤمن يشعر براحة عميقة وروح معنوية عالية بعد أداء احتفال ديني جماعي.

---

[1] - ينظر: عبد الحميد يونس، معجم الفلكلور، ص240.
[2] - أحمد زغب، الفلكلور، ص43.
[3] - مصطفى شاكر سليم، قاموس الأثنربولوجيا 161.
[4] -المرجع نفسه، ص53.
[5] -المرجع نفسه، ص116.

ج-الحفلات الجمالية: الحفل الجمالي هو استعراض مهارات فنية أو عضلية، أو مهارات في القدرة على إمتاع الحضور وتسليتهم، وقد ترتبط الحفلات الجمالية بمهرجانات دينية أو اجتماعية كحفلات الزواج -مثل الاستعراضات الموجودة في المحفل السوفي-، والهدف منها إظهار البراعة غير أن كثيرا من الفعاليات الجمالية نشأت في بدايتها طقوسا دينية كاسترضاء الآلهة أو طلب المطر وطرد الأرواح الشريرة مثل الرقص، ثم أخذت منحى جمالياً ترويحياً بعد أن زالت المؤسسة الدينية التي كانت تتبناها[1].

والرقص عنصر حيوي جمالي في جميع الحفلات والمهرجانات، فهناك رقصات تعبر عن ترحيب بالضيف ورقصات تحاكي العمل الزراعي أو العمل الحربي كاستعراض الفروسية وإطلاق البارود وركوب الجياد والقيام بحركات فنطازيا* كالوقوف على ظهر الجواد وهو يجري بأقصى فيقوم الفارس بطلق يديه أو يطلق البارود، وقد يكون الرقص لاستعراض المفاتن الجسدية للمرأة كنعومة الشعر والقدرة على الانسجام مع الإيقاع كرقصة الشعر أو النخ بمنطقة سوف[2].

وبقيت الحفلات الجمالية رواسب ثقافية يغلب التجمع والترفيه والاستعراض في أغلب المجتمعات.

3- **خصائص الاحتفال:** لاحتفال مجموعة من الخصائص منها:

-إقامته تكرر في معلومات في أوقات معلومة، أو مناسبة معينة.

-له طابع رمزي و منهجاً ثابتاً مقرراً سلفاً، حيث يمكن التنبؤ بما سيجري في المرحلة الموالية[3].

-يختلف الاحتفال مع الحياة اليومية، لأنه مناسبة للارتباط بالمقدس واسترجاع الزمن الماضي.

-تكون في الاحتفالات مجموعة من القيود تتحكم في المجتمع، كالدين والسياسة.

-تختفي في الاحتفالات الفروق التي تفصل بين أفراد المجتمع.

---

[1] - ينظر: أحمد زغب، الفلكلور، ص44..

[2] - المرجع نفسه، ص45.

[3] - المرجع نفسه، ص39.

* الفنطازيا أو الفنتازيا: مصطلح فرنسي معناه بالعربية التبرويدة أو صحاب البارود أو لعب البارود ولعب الخيل، وهو رقص استعراضي فرجوي عرف في مناطق المغرب العربي

-يعتبر الاحتفال الخروج المؤقت من الزمن الواقعي، التي تعمه الفوضى إلى زمن مؤقت يسوده الاستقرار والنظام[1].

4-الاحتفال في الذاكرة الشعبية بوادي سوف:

تحتفظ الذاكرة الشعبية بجغرافية زمانية وثقافية واجتماعية خاصة بها في كل حفلة أو مناسبة[2]، وذلك من خلال شعور الأفراد بجماعتهم الاجتماعية أكثر من الشعور بالذات، فلكل جماعة بشرية ذات اهتمام مشترك في المعتقد أو الانتماء، أو حتى الميول الفنية ... وغيرها ويكون أكثر تأثيراً وقوة لدى المجتمعات الصغيرة والقرابية أو الاجتماعية، ويلعب دوراً هاماً في حياتها فكل فرد يشعر بأحاسيس الآخرين ويتحمل ما يتحملون[3].

ولكل ذاكرة شعبية في كل مجتمع من المجتمعات العديد من الاحتفالات التي تقام سواء كانت دينية أو اجتماعية أو غير ذلك، ومنه المجتمع السوفي المعروف بالعديد من الاحتفالات والأعياد التي لها خصوصيتها من خصوصية المجتمع ومن أبرزها:

أ-حفل ختم القرآن الكريم: الذي يعد مجامع مفيدة من جميع جهاتها لجميع روادها، فهي للعامة أدوات تعارف وتواصل بين من لم تتهيأ لهم أسباب الاجتماع إلا في هذه الاحتفالات، أما للدعاة فهي ميادين دعاية يجدون فيها متسعاً لنشر آرائهم، وللمرشدين والمربين الاجتماعيين فرصة لبث الإرشاد والتوجيه للخير والمنفعة[4]، والخطباء فوجودهم في هذه الاحتفالات جزاءاً ضرورياً يحدث فارق جوهري بين مسمى (احتفال) ومسمى (زردة)[5]، وبوادي سوف يقام في احتفال ختم القرآن الكريم وليمة يستدعى إليها معلم القرآن والطلبة، إضافة إلى شيوخ الحي وأقرباء الحافظ لكتاب الله ويقام فيها كذلك تتويج المعني وتكريم والديه.

---

[1] - ريمه بوشايب، مسرح عبد الكريم برشيد بين الاحتفالية وصناعة الفرجة، مذكرة ماجستير مخطوط، جامعة باجي مختار، عنابة، 2009/2008م، ص12.

[2] - مريم لمام محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة، ص21.

[3] - ريمه بوشايب، مسرح عبد الكريم برشيد بين الاحتفالية وصناعة الفرجة، ص22.

[4] - وزارة المجاهدين، مواقف الإمام الإبراهيمي، ج2، 359.

[5] - المرجع نفسه، ص360.

ب-احتفالية يوم عاشوراء: وتصادف يوم 10 محرم من كل سنة هجرية، تقام فيها احتفالية كبيرة، ومهرجانات القنط، وشايب عاشوراء لمدة عشرة أيام.

عبارة عن مهرجان تتكري يدوم عشرة أيام من شهر محرم، وتفيد الذاكرة الشعبية بأن هذه الاحتفالية تعود إلى القرن إلى القرن العاشر قبل الميلاد على شخصية "مريمة المحورية"، وهي امرأة بارعة الجمال تجسد العطاء والأرض وتعد الأنثى الوحيدة في الاحتفال التتكري، ثم الأسد وهو يرمز للملك والقوة والبطش، ويقال أن هذه الاحتفالية عبارة عن تمثيلية ترمز إلى تمسك سكان المنطقة الأوائل بالأرض التي تجسدها شخصية مريمة[1].

ويتميز هذا الاستعراض في شكل احتفال تمتزج فيه الرقصات بالموسيقي التقليدية وكذا الأغاني والأهازيج الشعبية بحضور جماهيري كبير للجماعة الشعبية، التي تتبنى هذا الموروث وتعتبره جزءا من عاداتها وتقاليدها.

ومن بين هذه الأغاني الشعبية تسمى "التبريش" التي تؤديها مجموعة من النساء في ليلة العاشر من محرم نذكر:

قُمَرَةْ يَا وَقْادَةْ وَاَلْغَّالِي وَينَ بَلْادّهْ
قُمَرَةْ قَالتْ رِيَتَّـهْ وَفِي بَلادّهَ خَلِيَّتَـــهْ
قـُمَرَةْ يَا لـُوخَيَّةْ نِشَّكِيلْكَ يَا لَبْنَّيَـــةْ
عَنْ مَا صَايْر فَيَّا مِنْ اَلْشَّايَب وَأَوْلَادهْ
قـُمَرَةْ يَا اَلْضَّوْايَةْ تَضَّوِي عَلَى نَزْلَتّنَـــا
اَلْنَّاسَ اَلْيَّ كَانُوا حَذْانَا رَحَّلُوا عَنْ رَدْتَنَـــا[2].

[1]- أحمد خضرة، ثنائية الفرجة والتراث في المسرح الشعبي –شايب عاشوراء-، مجلة العلامة، العدد 02، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2016، ص09.
[2] - بشيرة فائزي، الدبيلة، 2020/6/28م، الساعة 9:15 صباحاً.

ج-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: ككل سنة مع حلول هذه الذكرى العظيمة مولد خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم في يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، تحتفل الأسر السوفية بهذه المناسبة بعدة عادات وتقاليد منها:

-ترديد القصائد الدينية لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم في المساجد، وإقامة حلقات لتلاوة القران الكريم والذكر الحكيم

-تحضير في البيوت وجبة "العصيدة[1]" في صباح الباكر ليوم المولد النبوي الشريف.

-ختان الأطفال تيمناً بهذا اليوم وأخذ البركة منه.

-الألعاب النارية للأطفال كإشعال وتفجير المفرقعات كوسيلة لإظهار الاحتفال.

ومن قصائد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قول الشاعرة عائشة بنت علي القمارية (ق19م):

مَدْحة على النَّبي جاتْني من كُرَّاسْ في ليلْة الخَميس والجُّمعهْ

صَلّيت عن مُحمَّدْ ضَاوي لَلْبَاسْ شَارقْ النُّورْ زينْ الهمةْ

صَلَّوا على النبي يا لُمَّةْ

صَلَّوا عَليه مْحَمَّدْ جَدّ الحُسِينِ بصْلاَةْ يَاسْره وْمَا اسْمحْهَا

تِمْحِي الذُّنُوبْ وتِبري العَبْد مْنَ في يُــوم لاَخْرة نـَدفَعْهَا

ذَاك النَّهارْ الأعظَم يَا مُسلِمِينْ والِّلي خَافْيه يفضحهـَا

النَّفْس النِّعيلةْ هي تِخْدم في الشَّينْ وابْليسْ غَرّها وزلْبحْها

أنْا وحِيدْ وتْلاقوْ عَنِّي اثْنِين يَاربّ عِينْي نَصرعْهُم

يَا رافع السّمِا رَزَّاقْ يَا حَنِينْ مِنْ تَم بالصِّفا كَمِلْ لَهْ

صَلَّوا على النبي يا لُمَّةْ[2]

[1] - عائشة زعبي، 58 سنة، قاطنة بمنطقة الدبيلة، يوم 2020/06/28م، ساعة 10:00 صباحاً.

[2] -أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مطبعة مزار، الوادي، الجزائر، ط1، 2010م، ج3، ص26.

ج-الاحتفال بليلة القدر: تسمى بمنطقة سوف بليلة "القدري" وهي ليلة مباركة تتخللها عادات وتقاليد عديدة للكبار والصغار من بينها عادة "طاب ولا مزال" فهذه العادة تنفرد بها منطقة سوف عن غيرها من مناطق الوطن، وهي مهرجان طفولي ينشغل فيه حتى الكبار بتحضيراتهم لهذه العادة بما لذ وطاب من الحلويات والفول السوداني وجميع أنواع العصائر ويقام بتوزيعها على الأطفال الذين يأتون من الفجر للبيوت حاملين أكياسا بلاستكية مرددين بأعلى أصواتهم أهزوجة "أعطينا كسرة الموتى إن شاء تحجي يا مرى" وكذلك "أعطينا فيلة ول فلتين على رحمة الوالدين"[1] وفي مساء ذلك اليوم تقوم الأم بإعداد طبق الكسكسي ليرجع الأطفال حاملين ملاعقهم مرددين أهزوجة "طاب ول مزال كان طاب هاتوه وكان مزال نزيدوا ساعة ونجوه[2]" في جو بهيج من طرف الأطفال والعائلة التي تقدم لهم الكسكسي كصدقة على موتاهم، وفي الليل تكون صلاة التراويح كسائر أيام الشهر الفضيل وفيها تكون ختم للقرآن الكريم، وتقدم الحلويات بعد الانتهاء من الصلاة، وبعض العائلات تختن أطفالهم في هذه الليلة المباركة.

وكذلك ظاهرة الاحتفال بالأعياد فهي تعتبر من القيم الثابتة للحياة الاجتماعية المحلية فللعيد نكهة خاصة، يدفع الناس إلى التمتع بالحياة والاحتفال بالعلاقات الاجتماعية خارج إطار العلاقات الاقتصادية، فالشحنة المعنوية التي يتمتع بها العيد حاجة إنسانية يشعر الناس عفويًا بضرورة التمسك بها[3]، كما للعيد دلالات دينية روحية خاصة به، كذلك له دلالات اجتماعية ثقافية ومرآة تعكس أماني المجتمع مع بقاء الاعتبار الديني له، ففي الأعياد تجتمع العائلة بصغارها وكبارها مع احتفاظ عادات وتقاليد خاصة باللباس والأطعمة وأوقات الزيارات لكل مجتمع[4]، بوادي سوف تحتفل بعدة أعياد كباقي الأمة الإسلامية كعيدي الفطر والأضحى اللذان يعمان فيهما الفرح والعطاء، والسوافة كباقي مناطق الوطن يحتفلون فيهما بتحضير الحلويات ووضع الحنة وفي يوم العيد يقومون بزيارة الأهل والأقارب للمعايدة، وزيارة المقابر.

[1] - حنافي سعيدة، 63 سنة، قاطنة بمنطقة سيدي عون، 2020/06/29م، الساعة 9:30 صباحاً.
[2] - مسعودة فائزي، الدبيلة، 2020/06/30م، 18: 22 مساء.
[3] -مريم لمام محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة، ص25.
[4] - المرجع نفسه، ص26.

هـ-الحج: ويكون الاحتفال عند قدوم الحاج من رحلة الحج، وتقام حضرة على حسب الطريقة الصوفية المنتمي إليها الحاج إذا كان لديه انتماء، وتقام أيضا وليمة قدوم يستدعى إليها الأهل والأصحاب[1].

و-الحضرة: وهي فرق للمدائح ذات الطابع الديني، ولكل طريقة صوفية أكثر من فرقة خاصة الطرق المشهورة بوادي سوف، كالتجانية والرحمانية والقادرية، وكذلك حضرة سيدي علي بن خزان -تقام بمنطقة الدبيلة-.

وتقام بسوف **أعياد شعبية** خاصة بالمنطقة نذكر منها:

-**عيد الخريف:** ويصادف اليوم الأول من الخريف، أي الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر أوت ويشترك فيه سكان الحي بذبح ناقة أو جمل.

-**عيد الربيع** "**تقيطوط**": ويصادف منتصف الربيع، وتحضر فيه كسرة بالدهان وتسمى بـ"الرفيس".

-**عيد العنصلة:** ويصادف منتصف الصيف حين يعنصل البصل وينضج، ويحضر فيه طبق الشخشوخة.

-**وقوف العرجون:** ويصادف الأيام الأوائل من الصيف، حيث يكتمل العرجون ويتوقف عن النمو.

-**المايوات:** مايو الصيف أول يوم من الصيف، مايو الربيع ويكون في 15 يوم من الربيع.

-**عيد رجب (المعراج):** ليلة 27 رجب، وهي ذكرى الإسراء والمعراج.

-**عيد الشعبانية:** ويصادف منتصف شعبان[2].

ومعظم هذه الأعياد الشعبية اختفت ولم يبقى إلا البعض منها، والذي يظهر في المهرجانات الرسمية لإبرازها كتراث ثقافي، بالإضافة إلى الأعياد الدينية كمختلف المناطق الإسلامية كعيدي الفطر والأضحى، وكذلك الأعياد الوطنية المختلفة.

[1] - ينظر: الوادي ملكة الرمال الذهبية، ص70.
[2] - ينظر: مفكرة نهاية القرن العشرين، ص189.

ونجد أيضا مجموعة من الاحتفالات خاصة بالعبور كالخطوبة والزواج وميلاد الطفل، والختان صوم الأطفال رمضان لأول مرة، والنجاح في الامتحانات، التنقل إلى الدار الجديدة، عيد رأس السنة الهجرية والميلادية، وغيرها من الاحتفالات بالمناسبات الخاصة والعامة.

وعليه فالاحتفال تجمع لعدة أشخاص في مكان واحد بهدف إحياء ذكرى دينية أو اجتماعية معينة، وهو يعبر عن علاقات الترابط بين أفراد المجتمع.

ثالثاً: الفرجة الشعبية وعلاقتها بالاحتفالات:

1-مفهوم الفرجة:

أ- لغة: الفرجة مشتقة من الفعل (فرج):" الفَرْجُ: الخَلَلُ بين الشيئَّين والجمع فُروجٌ، وقيل الفُرْجَة الخصاصة بين الشيئَّين، وفُرجة الحائط يقال: بينهما فرجة، أي انفراج. والفَرْجة: التَّقصي من الهَمَّ وقد يَفْرج فَرْجًا وفُرجة ولا فرجة الجوهري: الفَرَجُ من الغم بالتحريك، يقال: فرج الله غمك تفريجًا وكذلك فرج الله عنك غمك يفرج بالكسر[1]". بالفرجة إذن من الانفراج، وهي عكس الهم والتأزم.

أما عند الغرب تتحدر كلمة Spectacle من الفعل اللاتيني Spectre، بمعنى نظر وشاهد أي مرتبطة بما هو مرئي[2].

فمن من خلال المفهومين نلاحظ أن المفهوم العربي للفرجة ارتكز على زوال الهم، أما المفهوم الغربي ركز على المشاهدة والنظر، مع أن الفرجة ليست مقصورة على المرئيات فقط بل حتى المسموعات أيضا.

ب-اصطلاحا: "الفرجة نوع من أنواع الخروج بالمتلقي من حالة إلى حالة أخرى، كأن تكون في حالتها الطبيعية المعتادة فتحلق مع المؤدي في أحلامه...، والفرجة تكون في كل ما هو غريب فكل غريب مثير للفرجة لأنه يجذب المتلقي له ويستوقفه ويشغله عما عدا[3]". ومن أشكال الفرجة الحلقة، حيث يقام المؤدي ويتحلق الجمهور حوله -وهذا ما سنلاحظه لاحقًا في المحفل السوفي-.

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص341.

[2] - ماري إلياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، ص32.

[3] - أبو الحسن سلاّم، أشكال الفرجة الشعبية وعناصرها في المسرح العربي، من الموقع الالكتروني RTTP/Folkarts.Ahlamontada.net، يوم 2020/08/15م، الساعة: 16:03.

عرفها شيكنر R-Schehner بأنها:" عبارة عن سلوك مضاغ أكثر من مرة "، أما كليفورد كارثر Clifford Geertj فعرفها بأنها:" قصة يرويها الناس لأنفسهم حول أنفسهم ".

والفرجة جنس تعبيري يتواصل من خلاله الناس، لأنها تعرض أمام جمهور يتكون من أغلبية لها ذاكرة مشتركة مع صانعي الفرجة[1]، وترتكز على أسس أهمها:

-البعد التواصلي: العلاقة الجوهرية بين المؤدي والمتلقي.

-البعد الاحتفالي: تتضمن في الممارسات الفرجوية في حد ذاتها.

البعد الفرجوي: يتخذ أشكالاً مختلفة في الفرجة.

فهذه الأسس تحتضن عوالم الفرجة بلغة شعرية وحركات تعبيرية دالة، تجعل من العادات والتقاليد قانونًا لها وفق ذاكرة جماعية تحيل إلى الماضي.

2-علاقة الفرجة بالاحتفال: إن كل احتفال يحتوي الفرجة، فالاحتفال بما يتضمنه من عادات وتقاليد وطقوس وممارسات يساهم في إحداث الفرجة، فالاحتفال هو:" اللحظة الأرحب التي تتحقق فيها الفرجة باعتبارها نسقًا من الحركات الدالة التي تقدم المشاهدة [2]"، ويعد الاحتفال فرجة شعبية ومتعة لكل الشعوب على مر الزمان.

والفرجة قديما ارتبطت بتأثير الأسطورة على الإنسان والممارسات البدائية لطقوس الرقص الإيمائي في الاحتفالات الشعائرية كطقوس الخصب والصيد، والاحتفالات الأخرى المتعلقة بالسيطرة على مظاهرة الطبيعة والسيطرة عليها والتواصل معها وكشف الغامض[3].

3-أهميتها: الفرجة أيقونة اجتماعية تعبر عن لحظات دفقة شعورية دالة عن ثقافة لمجتمع ما لها أهمية في التعبير عن الصراع الاجتماعي بمختلف تجلياته في الحياة اليومية الذي ينعكس موضوعًا وفنيًا في الفرجة فهي:

-اجتماعية: الحفاظ على الهوية الجماعية والفردية، بما تحتوي الفرجات على عادات وتقاليد.

---

[1] - بليصق عبد النور، مقومات الفرجة الشعبية في مسرح عبد القادر علولة –مسرحية الأجواد أنموذجا-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة المسيلة 2014/2013م، ص08

[2] - ماري إلياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، ص32.

[3]-. بليصق عبد النور، مقومات الفرجة الشعبية في مسرح عبد القادر علولة، ص07..

-اقتصادية: استعمال الفرجة في الاستثمارات السياحية، وتقديمها كمنتج تجاري -مثل عرس مدينة ألف قبة وقبة-.

-علمية: تكون منها لدراسة التراث الإنساني وحفظه من الاندثار.

وترتكز الفرجة في الطقوس الاحتفالية والتظاهرات الجماعية على التواصل بين المؤدي والمتلقي، وكذلك الاحتفال يتضمن في حد ذاته فرجة من خلال العروض التي يحتويها[1].

فالفرجة الشعبية إذن تعكس هوية المجتمع وحياة الشعب المادية والفكرية والروحية، لأنها تنتمي إلى الجماهير بمتخلف أشكالها ونابعة منه وإليه، فهي تعتمد على اللغة اليومية المتداولة في الحياة العادية، وتتوسل بالحركات التعبيرية والأداء الشفوي من خلال الشعر كما هو الحال في المحفل السوفي باعتباره مهرجان احتفالي فرجوي.

[1]- عبيد لبيروزين، مدخل لدراسة الفرجة، مقال نزل يوم 8 سبتمبر 2017م، ساعة 19:42، المجلة الإلكترونية تافوكت للإنتاج والإبداع بدعم من وزارة الثقافة الدار البيضاء، المغرب، WWW. Tafukt. Com.، يوم 2020/08/18م، ساعة 15:40.

الفـــصل الثـــــاني:

الـــــدراسـة الـــــتحليلية للـــمحفل الســـــــوفي

أولاً: مفهوم المحفل السوفي

1-مفهومه:

2-الشكل الهندسي للمحفل السوفي

ثانياً: عناصر المحفل السوفي:

1-اللباس:

2-الرقص:

أ-رقصة الزقايري

ب-رقصة النخ

3-الأغاني:

4-المكان والفضاء

5-الزمان

6-الديكور

7-الإضاءة

8-الجمهور

9-الحركة

10-المؤدون

11-الآلات الموسيقية

ثالثاً: المناسبات التي يقام فيها المحفل السوفي:

1-الزواج

2-الختان

3-عرس مدينة ألف قبة وقبة.

أولاً: مفهوم المحفل السوفي:

إن الزائر إلى ولاية وادي سوف، باحثًا خلف أركانها الصامدة الضاربة في عمق تراث المنطقة وهويتها، يلاقي الدهشة أمام رحابة أهلها وقوة تمسك عناصرها التراثية بالبقاء، وخير مثال على ذلك "المحفل السوفي" فهو يعتبر من أهم الموروثات الشعبية الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الاحتفالات والمناسبات السّارة المقامة بالمجتمع السوفي، خاصة احتفالات الزواج بما فيه من عادات وتقاليد خاصة بالمنطقة.

1- مفهومه:

أ-لغة: وردت كلمة المحفل في مختار الصحاح لأبي بكر الرازي:" محفل القوم ومحتفلهم مجتمعهم"[1]، وفي المعجم الوسيط:"المحفلٌ: مكان الاجتماع والمجلس والجمع محافل"[2]، فالمحفل في اللغة مكان اجتماع لموضوع ما.

ب-اصطلاحا: يعتبر المحفل السوفي أحد مظاهر الثقافة الشعبية، وهو ليس وليد هذا العصر أو ذاك، إنما هو من الأشكال التعبيرية القديمة قدم تعاطي الإنسان للفن واحتياجاته للتعبير عما يجيش في نفسه من مشاعر وأحاسيس، وتختلف وجهات النظر في وظيفتها من المتعة الفنية إلى الحقيقة التاريخية، أو وسائل أخرى تؤدي إلى ترقية المجتمع وتطوره لما تحمله من عادات وتقاليد وقيم، ويتضمن المحفل السوفي الأشكال التعبيرية التي تعبر بها الجماعة عن مواقفهم وذواتهم وهمومهم وارتباطهم الوثيق بالبيئة الصحراوية، فالمحفل سلوك إنساني له شكل ذو علامة ككل العلامات، لا تدرك إلا من خلال استعمالاتها، وكل استعمال يحيل إلى نسق وكل نسق يحيل على دلالة تشبه في سجل الذات وسجل الحركة وسجل الجسد ككل[3].

والمحفل السوفي هو:" عبارة عن تجمع كبير من الرجال في شمل دائري، وتكون فرقة محلية مكونة من رجلين أو ثلاث أحدهم عازف على آلة الزرنة والآخران يضربان على آلة البندير

[1] -أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص410.
[2] -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص186.
[3] -ينظر: التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 04، جامعة الوادي، جانفي 2014م، ص101.

وتتخلله رقصتي النخ النسائية والزقايري خاصة بالرجال، وهذا يميز الزواج بمنطقة وادي سوف وهو المحفل الذي يتجمع فيه كل فتيان وفتيات الحي للقيام بهذا الاستعراض الممتع والهادف في نفس الوقت"[1].

2- **الشكل الهندسي للمحفل السوفي:** يكون المحفل عادة بشكل دائري، يتجمع فيه مختلف أفراد المجتمع من نساء ورجال وفتيات وأطفال، حيث يجلس الفتيات الرقصات للنخ داخل دائرة في شكل هلال ويقابلهن الرجال الذين يقومون برقصة الزقايري، ويحيط بهم النساء في الجهة الخلفية للفتيات ليأتي على جانبهم الأطفال ثم الرجال لتكتمل الدائرة بحضور الجميع، وتتم كل من رقصتي النخ والزقايري –سيتم التعريف بيمها لاحقاً- بالتداول، حيث أن الفتيات لا يبرحن أماكنهن، أما الرجال فيدخلون بشكل نصف دائري.

فهكذا يتم تشكيل شكل الهندسي الذي يرسم لهذه الرقصة في بداية العرض، والمتمثل في اصطفاف الرجال في شكل قوس غير متراص، بمعنى أنهم متباعدين حاملين أسلحتهم الطويلة الشكل والثقيلة، ويرقصون تبعاً لدرجات الإيقاع ومستوياته بين الشدة والقوة من جهة، وبين الهدوء واللين من جهة أخرى، وقد يكون الشكل الهندسي للمحفل السوفي ايحاء لرسم الهلال الذي يرمز للإسلام، وربما خصوصية للمحافظة على الطابع المميز للثقافة المحلية للمنطقة[2].

ويعد المحفل أحد العروض الاحتفالية الفرجوية التراثية بكل ما يحمله من عادات وتقاليد كالرقص والغناء الخاص بالمنطقة وكذلك اللباس التقليدي وغيرها، وهو متعلق بالتجمعات الإنسانية –تجمع نساء رجال أطفال- يكون فيها أقوال وأفعال تعبر عن الابتهاج لأحد المناسبات، ويعتمد على الحلقة لتواصل مع الجمهور المتفرج الذي يكون مشاهد وعنصر فعال مشاركاً في حلقة المحفل فمن خلالها تكون الفرجة للمحفل السوفي.

[1] -، التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، ص102.
[2] -المرجع نفسه، ص103.

ثانياً: عناصر المحفل السوفي: ومن أهم العناصر التي تظهر فيها عادات وتقاليد المحفل السوفي وتعد ركيزة له نذكر:

1- **اللباس:** يعد اللباس أحد وسائل الاتصال بين الناس، فهو يعرف على هوية شخص معين من خلال ملابسه التي تبين الحالة الشعورية للفرد ومكانته الاجتماعية، كما يعتبر مظهر من المظاهر الحضارة المادية وقد اتخذه الإنسان من أجل الوقاية وستر العورة وكذلك الزينة. واللباس من فعل "لبس"، أي ما واريت به جسدك فاللباس إذن هو: ما يكسو الجسد الإنسان ويظهر به[1].

ونوعية اللباس وشكله هو مرتبط ومقيد بنوع المجتمع الذي نعيش فيه والظروف الطبيعة الخاصة به، والمناسبات المقامة فلكل مناسبة لباسها المخصص لها، والمحفل السوفي كمناسبة احتفالية له ملابس خاصة لكل من الرجال والنساء.

أ-**اللباس الرجالي:** يرتدي الرجل السوفي خلال المحفل لباساً يحمل في معناه الكثير من الدلالات التي ترمز للرجولة والأصالة وتتسم بالقوة والهيبة ومنها:

البرنوس: وهو عبارة عن كساء صوفي ينسج في المنطقة يوضع على المنكبين ويلف على الجسد كله، يحمل في أعلاه طربوش لغطاء الرأس ويكون من اللونين الأبيض الناتج من صوف الغنم والأرجواني (الحني) الناتج من الوبر أو الصوف المصبوغ بالحناء، ويرتديه في الغالب العريس أو صاحب الاحتفال، أما الرجال الراقصين في المحفل بلباسهم :

القميص: مصنوع من القماش اللين عادة ما يكون طويل إلى حد الركبتين ويلبس تحت القندورة أحياناً، والقندورة هي عباءة بيضاء تصنع من القماش في الصيف ومن الصوف في الشتاء.

السروال: ويسمى الصحرياني أو الدلدولة ويكون واسع في وسطه، حيث يسمح للرجلين بالحركة دون حرج[2].

---

[1] -ينظر: الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 02، جامعة الوادي، نؤفمبر 2013م، ص0185.

[2] -ينظر: الوادي عروس البوادي، مجلة ثقافية سنوية تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى والأغنية السوفي، العدد 01، 2008م، ص29.

الشاش: قطعة من القماش يلفه حول رأسه لون أصفر أو أبيض.

العرقية: وهي قبعة توضع على الرأس وتغطيه، وتكون على حسب الفصل الذي تلبس فيه.

القندورة: وتسمى باللهجة المحلية (قدوارة)، وهي عباءة بيضاء تصنع من القماش في الصيف ومن الصوف في الشتاء.

أما حذا الرجال فيكون الحذاء التقليدي الخاص بالمنطقة وهو "العفان"[1].

ب- اللباس النسوي: المرأة السوفية منذ القدم عرفت بلباسها المحتشم الذي يخفي مفاتنها ولا يظهر منها إلا الوجه والكفين والقدمين، فلما أن تبلغ الفتاة سن الرشد حتى ترتدي الحولي وهو اللباس التقليدي المتميز عند المرأة السوفية والبخنوق والقندورة، والحولي هو اللباس الوحيد خلال المحفل للمرأة أثناء أدائها لرقصة النخ.

الحولي : لباس خارجي يصنع من الصوف أو الكتان حسب الحالة الاجتماعية للمرأة، شكله مستطيل ويتراوح طوله مابين خمسة وستة أذرع، وهو عبارة عن جبة مخاطه بشكل واسع وأكمامه لها فتحتين جانبيتين لخروج اليد ضيق من الوسط، ثم يبدأ بالتوسع نحو الأسفل وطريقة خياطته بهذا الشكل يساعد على التهوية لطبيعة المناخ الساخن للمنطقة، وله ألوان متعددة منها الأحمر والأزرق والأسود هو الغالب في مختلف المناطق يعم عند الحواف بأشرطة (السفايف) ملونة بالأحمر والأصفر والوردي، أما اللون الأبيض فإنه مخصص للأفراح تلبسه العروس في ليلة زفافها في بعض المناطق، واختلاف الألوان لم يأت اعتباطا إنما للتفرقة بين المرأة العزباء والمرأة المتزوجة والعجوز.

وقد كان الحولي ولازال مظهرًا جماليًا للمرأة السوفية تتباهى بلباسه النساء ويدخل ضمن محددات الشخصية[2]، وللحولي أنواع عدة نذكر منها: حولي الحوكة، حولي الحرير، الحولي

[1] -ينظر: الوادي عروس البوادي، ص29.
[2] - ينظر: الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، ص189.

الأحمر، حولي الحسنية، حولي الجلوالي[1]، وهو من أشهر الأنواع وقد تغنى به بداعي الفخر ومثال ذلك الأغنية التراثية "حولي جلوالي":

حُولِي جَلْوَالِي* اَحْزامْ قُطِن عَنَّهْ لَبَّسْنَّه سُوفياتَ رَقْصَن عَنَّها بِزَوز سفايفْ

حُولِي جَلْوَالِي مَنْ قَلبي رَايقْ لَبْساتّه اَلْزهرةَ مَاذا مَنّها خَايفْ رِيقْي يَبَّسْتهَا وَمنَّها العّلةْ

ابَزُوزَ خَلاَيْلَ** لَبساتَّه السَّمرةْ بِلثَّامَهْا تَتمايلْ حَيَّرتْ كِينيني وَخَلّتْنِي حَايرْ

تَتْمايَل بِه حُولِي بِحزامَه مَدربِي مَواتِيه*** خَرْجتَ لِلمَحْفَلْ تِدرَج بهْ[2]

ففي الأغنية وصف للحولي، وكذلك إظهار مشاعر الحب والإعجاب للمرأة التي ترتديه والحيرة التي يعيشها الشاعر بتفكيره الدائم بمحبوبته.

الحزام: تشدُّ المرأة به لباسها (الحولي)في وسطها، فلهذا يستخدم الحزام كلباس وزينة ويعتبر من عادات الزواج بالوادي، وإذا حُزِّمت المرأة يعني أنها عزمت وقامت لبيتها الجديد، وله أنواع مختلفة منها ما يصنع من الحرير ويجلب من تونس، ومنها ما يصنع محليا بالخيوط والنوار والصوف نذكر منها: (حزام الصوف) وهو من أقدمها ذو اللون الأبيض، (حزام المجدول أو المبروم) وهو عبارة عن عدد من خيوط الصوف الملونة والمفتولة تتراوح ما بين 7و10 خيوط[3].

ويعد الحزام علامة سياج تدل على العفة والأخلاق الحسنة للمرأة،وقد تغنى به في الذاكرة الشعبية السوفية:

حَزْام اَلْبَرَايمْ يَعِجْبَكْ لَيانهْ عَنْ جُوفَ خَاوِي مَخالفاتْ ألوانهْ

حَزْام البرايمْ يعْجبنّي زيَّه حَكرتْه ورعيتْله بعنياْ****

حَزام عَنْ مَسعودةْ مَرْبوعة قدَّ وَكل حَد وعُودهْ

---

[1] - ينظر: الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، ص06.

*جلوالي: واسع ويستر كل الجسم.

** خلالي: جمع خلالة، وهي قطعة من الفضة تمسك الحولي من جهة اليمين.

*** مواتيه: جميل عليه.

[2] -ساسية فريجات، 66 سنة، قاطنة بواد العلندة، 2020/08/02م، الساعة 9:40 صباحاً.

[3] - الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، ص191.

**** زيّه: لونه، حكرته ورعيتليه بعينيا: بمعنى نظرة له بتمعن.

وقفة جبّار قْبلي في هُوده رواي عالبَعْلي يشفيك فَتْلانه

حزام بالجّديليةْ حفلْ جُوف فِلكْي سَمْحة التخْليلة[1].

فهذه الأغنية تصف الحزام المفتول الملون وقد شبه بنخلة الجبار المغروسة في الجهة الجنوبية للهود أو الغوط.

المَرْحمة: وهي غطاء لرأس، عبارة عن قطعة قماش مربعة الشكل مزينة برسوم وألون عديدة، تثنى في الوسط لتأخذ شكل مثلث وتشد على الرأس، والمرحمة في سوف أنواع متعددة أخذت أسماء شخصيات ثورية وأخرى متصوفة، منها: "مرحمة بوشوشة" نسبة للثائر الشهيد محمد بن تومي المدعو الشريف بوشوشة، و "مرحمة بن جلول" نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلالي الذي تنسب إليه الطريقة القادرية.

أما حذا الرجلين فعادة ما يكون "العفان" مثلها مثل حذاء الرجل، وتلبس بعض النساء "البليغة" فهناك بليغة محلية تصنع من جلد الجبل، وأخرى مستوردة من تونس مصنوعة من جلد الماعز بألوان مختلفة أبرزها الأحمر[2].

ونذكر بعض من **الحلي وأدوات الزينة** التي ترافق المرأة السوفية في لباسها لإظهار جمالها فلكل قطعة لها دلالتها التي تميزها على الأخرى، فالذهبية ترمز للغناء أما الفضية ترمز للتواضع والتمسك بعادات الأجداد:

الخلخال: من الحلي الشعبية التي تلبسها المرأة في الرجل، وقد يصنع من الذهب أو النحاس المطلي بالذهب أو الفضة، وهو عبارة عن حلقة جانبها شكل مربع وبها نقوش.

الخمسة: عبارة عن كفّ فيها خمس أصابع توضع فوق الجبهة ومنها ما يصنع من العاج وهذا النوع يلبسه عامة الناس، ومنها المصنوع من الذهب تضعه نساء العائلات الغنية، وفي اعتقادهم تطرد العين والحسد[3].

---

[1] - بشيرة فائزي، الدبيلة، 2020/08/23م، الساعة 11:40 صباحاً.

[2] - الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، ص191.

[3] - ينظر: يونس عبد الحميد، معجم الفلكلور، ص242.

الشنقلات: عبارة عن مثلث متصل به أربع سلاسل تتأرجح على الكتف كل سلسلة منها منتهية بخمسة أو هلال، وتعلق بجانبي الرأس في الشعر.

المشرف: نوع من أنواع القروط، وهي حلقات توضع في الأذنين بعدة نقوش متنوعة.

الْمقاوس: نوع من الأساور أو النبايل، وعادة تتكون من الذهب الخالص أو الفضة تلبس في معصم يد على شكل سبيعيات.

السخاب: هو نوع من الحلي معروف بالمنطقة يصنع من البخور الذي يعجن بالعطر على شكل هرم، ويجمع في خيط بأعداد متساوية يفصل بينهما بقطعة ذهب منقوشة ذات شكل اسطواني ويوضع السخاب على الصدر[1].

أما أدوات الزينة عند المرأة السوفية فتميزت بباسطتها ومنها:

السواك: ويطلق عليه اسم الجوز أو الزوز تضعه المرأة في فمها، وهو عبارة عن خشب بني اللون وتمضغه عدة مرات حتى يتلون فمها بالبني.

البخور: لتطيب المكان حيث تضعه المرأة في (البخارة) أو(المجمرة)، ويتكون من السرغين، الورد، القرنفل، الطيب، وعدة روائح منها الزبد وريحة بوماري والجاوي.

المعرقة: وتتكون من القرنفل، الطيب مرطب يضاف إليه الزبد وعدة روائح وقليل من الفرينة وتتماسك هذه المواد وتعجن كلها بالريحة، وتصنع على شكل مثلثات في أعواد دقيقة لما تجف تصفف في خيوط مع الذهب أو الفضة أو النحاس، ثم تتزين بها المرأة في الأعراس أي تضعها في عنقها[2].

البُوشْ: وتأتي كلمة بوش بمعنى الجمع، وهو عبارة عن جمع أخلاط من الأعشاب والعطور كالورد المردقوش والقرنفل والريحة .... بالإضافة إلى زيت الزيتون، ويأخذ البوش صفتين صفة دهن الشعر من جهة، ومعطر من جهة ثانية ويسمى في بعض المناطق بـ "المحجوبة"[3].

---

[1] - ينظر: عروس البوادي، ص30.

[2] -المرجع نفسه، ص31.

[3] - ينظر: الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، ص194.

الخِضّاب والحِناء: استعملت النساء السوفيات الحنة للزينة أو التداوي، وهناك من تقوم بتعطير الحناء بالبخور قبل الاستعمال لإضفاء رائحة عطرة للخضاب.

الكحل: ما يكتحل به، فقد اهتمت النساء السوفيات بجمال أعينهن وذلك باستعمال حجر الإثمد في العين بالمكحال أو ما يسمى بـ (المرْود) والأداة التي توضع فيها الكحل تسمى المُكحلة.

الحنة: وتعد من أهم العادات الاجتماعية الشائعة بمنطقة سوف[1].

فالمرأة السوفية تستمد سر جمالها من الطبيعة، فكان جمالها صادق وسحرها جذاب ورائحتها عطرة زكية، فمنذ آلاف السنين اكتشفت المرأة مواد زينتها قبل ظهور مواد التجميل الكيميائية فحافظت على نظارة بشرتها وسلامة عينيها وصحة أسنانها باستعمالها المواد الطبيعية .

واللباس التقليدي السوفي سواء يرتديه الرجال أو النساء لا يعبر عن هوية المجتمع فحسب بل له القدرة في الكشف العديد من القيم والدلالات الاجتماعية لكل زي معين ولونه.

فاللون هو إحساس له شروط بعضها يعود إلى عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل للعين وطول موجته وزاويته ولونه، فهو لا يأتي لوظيفة زخرفيه فحسب بل له اتصال وثيق بالنفس البشرية[2]، ومن أبرز الألوان في اللباس السوفي:

اللون لأبيض: محبب لنفس البشرية، لأنه يبعث فيها الراحة والطمأنينة ويدل على الطهر والبراءة، وكان رمزاً للقوة الإلهية في كثير من الحضارات[3].

اللون الأسود: يرمز إلى النهاية والفقدان، ويعبر عن التأني والحكمة والصبر على الحزن والمحن، كما يدل على المرجعية الدينية والقوة والخضوع إلى الله، والأسود الداكن واللامع عند المتصوفة نهاية الألوان فيعبر عندهم النور الإلهي[4].

---

[1] - ينظر: الجباري عثماني، مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف، ص195.

[2] - حنان عبد الفتاح مطاوع، الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، الإسكندرية، العدد 18، 2016م، ص420.

[3] - المرجع نفسه، ص423.

[4] - كلود عبيد، الألوان -دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها ودلالتها-، مراجعة وتقديم: محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص63.

اللون الأصفر: رمز الآلهة، وهو رمز الألواح المقدسة ولون التنوير والحكمة والتفاؤل والأمل والوضوح والثقة، ويمثل التركيز والذكاء[1].

اللون الوردي: له قيمة رمزية تتأرجح ما بين المقدس والمدنس، ومفروقات بين الشهوة والطهارة ومفاهيم بين الحب والحكمة الإلهية، وأظهرت الدراسات العلمية انعكاساته على الإنسان فيعمل على تهدئة الأعصاب وعضلات القلب، أما علماء النفس فيصفون اللون الوردي بأنه ملطف يغمرنا بالحب والحماية ويخفف الشعور بالوحدة[2].

اللون الأحمر: يعتبر الأحمر رمز الحياة بقوته وقدرته ولمعانه[3]، ويعبر عن الحب وحرارته.

اللون الأخضر: قيمة معتدلة وسطية بين الساخن والبارد والعالي والهابط، وهو لون مسكن منعش إنساني[4].

اللون الأزرق: لون الفراغ والنقاء[5].

ومازالت العديد من المناطق بولاية الوادي متمسكة بلباسها بمختلف ألوانه به، بالرغم التطور الحاصل في النمط المعيشي لسكان المنطقة.

2- **الرقص:** استعمل الرقص من بدء الوجود في العبادات لتشترك أعضاء الجسم كلها في شعور منظم بحسب إيقاع موسيقي معلوم، ولو تبعنا تاريخ الرقص منذ أول العهود البشرية لا ستحال علينا إدراك بداياته، فليس يدري أحد بالضبط أين موطن الرقص ومتى نشأ، كل ما نعلمه أنه مرتبط بالموسيقى ارتباطاً وثيقاً يصعب على الإنسان أن يفصل أحدهما على الآخر[6].

ويعد الرقص إحدى الفنون الذي يجمع بين الإيقاع والأغاني له لغة تتكون من مفرداتها الخاصة بها وصياغتها الفنية تعبر بها عن الفرح والمتعة والحياة والمنجزات، أو تعبر عن حادثة تاريخية أو اجتماعية، كما أنه من أرقى مستويات التعبير في تشكيل مفردات وجمل حركية تشكل

[1] - حنان عبد الفتاح مطاوع، الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية، ص425.
[2] - كلود عبيد، الألوان -دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها ودلالتها-، ص125.
[3] - المرجع نفسه، ص73.
[4] - المرجع نفسه، ص80.
[5] - المرجع نفسه، ص 91.
[6] - ينظر: التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، ص105.

رمزاً يتميز بالتشكيل الحركي. والرقص الشعبي يراد به التعبير عن مشاعر الكثرة الغالبة من الناس وتمثيل نفسية الشعب في مختلف بيئاته وطبقاته[1]، فالرقص الشعبي "تعبير بوحدات الحركة عن رد فعل جمعي لدورات الحياة الهامة ... والرقص اليوم له دور هام في الاحتفالات بجميع أرجاء العالم ولرقص الشعبي وظائف تختلف باختلاف الظروف الجغرافية وتنوع الأمزجة، فلكل قارة ولكل أمة بل ولكل قبيلة أسلوبها الخاص في الرقص[2]".

والمحفل السوفي يعد صورة فنية، لأنه يستحضر في الذهن تلك اللوحة الفنية من خلال الرقص الاستعراضي لرقصتي النخ والزقايري باعتبارهما أداء حركي فني يعبر على رغبة داخلية عميقة تتشكل من مفردات وجمل حركية، مع تناسق الألوان التي لونت هذه اللوحة الفنية المتمثلة في ألوان الملابس، فيتفاعل الراقصون من خلال هذه التشكيلة ويخرج بهم إلى مستوى نوعي مميز من التشكيل الحركي الفني لرقصتي الزقايري والنخ[3].

أ-**رقصة الزقايري:** هي رقصة عربية في رموزها ومعانيها مع أنها لم تذكر في كتب اللغة العربية غير أن البحث يوصل إلى أصلها عربي، فكلمة (زقر) أصلها (صقر) وهي على هكذا على قاعدة الخليل المشهورة أن كل صاد تجيء قبل القاف تقال بالصاد على الأصل أو تبدل سينًا وزايًا، وصقر: الصَّقْرُ من الجوارح وبالسين جائز، والصاقرة والصاقورة النازلة الشديدة، و الصَّقْرُ في اللغة السَّقْر وهو شدة الوقع، قال إذا مالت الشمس اتَّقى صَقراتها يعني شدة وقع الشمس. وهكذا فإن الفعل (زقر) المحول عن (صقر) يدل على وقع شديد على الأرض[4].

ورقصة الزقايري تعتمد بكثرة النزول إلى الأرض بشدة لتعبر عن قوة الراقص وصلابته.

كما أن كلمة "زقايري" مشتقة من الكلمة الفرنسية (Guerrier) والتي معناها المقاوم، وربما تدل على المقاومة الشعبية إبان الاستعمار. تؤدى بشكل منتظم برفع الأرجل إلى الأمام مع الجلوس بين الحين والآخر تزامنًا مع نغمات آلة الزرنة، حيث يتم رفع الأرجل إلى الأمام

[1] - التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، ص106.
[2] - يونس عبد الحميد، معجم الفلكلور، ص268.
[3] - المرجع السابق، ص105.
[4] - أحمد خليل الفراهيدي، معجم العين (ج2)، ص404.

والارتكاز على رجل واحدة في شكل دائرة مع هز الأكتاف، وهي رقصة يقوم بها الرجال مستعملين بنادق تقليدية – البارود– مرفوقة بنغمات الزرنة والبندير تكمن أهميتها في التفاهم والتكامل لأعضاء الفرقة في محاولة إطلاق طلقة البارود بصفة متناسقة في مرة واحدة [1].

وهو نمط من الرقص الفرجوي الذي يؤدي فرديًا أو ثنائيًا أو جماعيًا حسب ما تقتضيه المناسبة الاحتفالية والإطار المشهدي العام. ومن خصائص هاته الرقصة طابعها الفرجوي الحماسي الذي يستقطب الجمهور من مختلف الأعمار والفئات، ويستدرجه إلى أجواء من التفاعل والإثارة العالية التي تنتج عن تناغم مع العناصر المختلفة للمحفل السوفي وتكاملها من رقص حركي وتصفيفي جماهيري على إيقاع الطبل[2].

ب–رقصة النخ: النخُّ في اللغة الزْجرُ، كقولك للبعير: إخْ إخْ وقد نخها يُنخُّها، والنخَّ لم يترك لهنّ مُخًا، والنْخَنْخَةُ من الإناخة، تقول أنختها فاستناختْ، أي بركَتْ، وتستعمل هذه الكلمة بمعنى خفض الرأس وطأطأته[3].

ورقصة النخ رقصة بدوية ارتبطت بمدينة وادي سوف في القرن 19م بالقرى والمداشر السوفية خاصة بمنطقة قمار، وهي نادرة على المستوى الوطني ولا يوجد لها مثيل إلا في منطقة الخليج والجنوب التونسي، وكان لهذه الرقصة شروطها وتقاليدها ورموزها المقام الوحيد الذي يمكن للبدو الرحل اختيار رفيقة العمر فيه[4]، ويقتضي أدائها جملة من المواصفات الجسدية الجمالية كطول الشعر وجملة من المهارات الفنية والتقنيات، ومن شروط أداء هذه الرقصة وجود تناغم وانسجام بين الأداء الحركي الجسدي والقدرة على التناغم مع الإيقاع بمختلف تكويناته ودرجاته من البطيء إلى السريع، حتى يكون هناك تجاوب بين المسموع والمرئي تحقق من خلالها متعة الفرجة للمتفرجين والمشاهدين وارتياح الراقصة بإفراغ شحنة المشاعر والأحاسيس والحالات النفسية في

[1] -التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، ص103.
[2] - صفية عزوز، مميزات الرقص البدوي في المهرجانات الشعبية بالجنوب التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 34، البحرين، 2020، ص 03.
[3] - الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين (ج4)، ص202.
[4] - التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، ص104.

الأداء الحركي، الذي يتحول إلى لغة متحركة متناغمة مع الإيقاع مفعمة بالدلالات والمعاني رغم اقتصارها على الحركة والإشارة دون اللفظ[1].

ولرقصة النخ نوعين هما:

النخ العادي: طريقة عشوائية في تحريك الرأس.

النخ بورجيلة: وهو طريقة في تحريك الرأس من اليمين إلى اليسار والعكس، أو ما يسمى شق بشق.

وفي كلا النوعين للفتاة الاختيار أن تجلس أثناء النخ على ركبتيها وإما أن تقف على رجليها.

وتقام هذه الرقصة في المحفل حيث يجتمع فيها أهل العرس أو المناسبة المقامة والضيوف في شكل دائري لمتابعة تفاصيل الرقصة، حيث تصطف مجموعة من الفتيات غير المتزوجات وهن مزينات ويجلسن على ركبتهن ويطلقن شعورهن ويشرعن في تحريك رؤوسهن يمنا وشمالا ومن الخلف إلى الأمام والعكس على إيقاع الرداسي[2].

وعليه فالمحفل السوفي يجمع بين رقصتي الزقايري والنخ، فالذين يرقصون الزقايري بعد تشكيلهم لنصف الدائرة في حركات منسجمة بعد تشكيلهم لنصف الدائرة في حركات منسجمة تأخذ في الانغلاق لتصبح دائرة هذا ناتج عن شدة الانفعال الذي ينتاب الراقصين أثناء الأداء، فبفعل العامل النفسي الدائرة تنداح كلما كانت حدة الانفعال ضعيفة، ثم تتقوس لدرجة الانغلاق كلما اشتدت الحركة لارتباطها بفعل المؤثر –المتثمل في رقص الفتيات بشعورهن–، وهنا يحاول الراقص التركيز بكل حواسه على الفتاة التي يرعب فيها زوجة، فيغمره شعور بالقوة والفحولة والرغبة الجامحة في الامتلاك والتملك الوجداني، فبحركاتهم الجسدية تتم بعملية دوران هذه الأخيرة التي يجب أن يسودها الانضباط والتنظيم الذي يوحي على القوة والصرامة والطاعة داخل الجماعة[3].

[1] - صفية عزوز، مميزات الرقص البدوي في المهرجانات الشعبية بالجنوب التونسي، ص04.
[2] - التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، ص104.
[3] - المرجع نفسه، ص103.

ولكل شعب في فئة شؤون ولكل جسد رقصاته التي تتماشى مع موروثاته ومعتقداته القديمة فتلك الأجساد التي تتمايل أو تنحني أو تدق الأرض بالأرجل، تحي بكل فخر تراث الأجداد وحركات الانخفاض والارتفاع شكل من أشكال التعبير عن الحالات الإنسانية، فالرقص يعد مظهرًا من مظاهر الحياة الشعورية النفسية ينبض بالحياة ويكشف عن إحساس الفرد، ويجمع بين الدقة في التفكير والجمال في التعبير.

3- **الغناء:** الغناء في اللغة الصوت، وعرفه ابن منظور بقوله :" الغناء من الصوت ما طُرِّب به ...، ويقال غنَّى فلان يغني أغنية، وتغني بأغنية حسنة وجمعها أغاني"[1].

وتعد الأغنية فنًا من الفنون الشعبية الموغلة في القدم من التراث الشعبي، فهي تساير جل التغيرات التي تطرأ على المجتمع بمختلف مواضيعها، وهذا ما أكده موريس بورا بقوله: "الغناء ليس في جملته إلاً تعبيراً عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي ظهر فيها والحاجات التي حرصت على ظهوره[2]"، وعرفها ألكسندر هجرتي كراب بأنها:" قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية وما تزال حية في الاستعمال [3]"، وتقول نبيلة إبراهيم:" الأغنية تكشف عن نظام المجتمع الواقعي الذي يعيش فيه الشعب "، و الأغنية الشعبية شكلاً من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، وفنًا بارزًا من فنون الإبداع وتختلف الأغنية الشعبية عن غيرها من وسائل أشكال التعبير في كونها تؤدى عن طريق الكلمة واللحن معًا لا عن طريق الكلمة وحدها، ومن ثم كان البحث عن الأغنية الشعبية ذا شقين شق يختص بالكلمة وشق يختص بالموسيقى[4].

الأغنية الشعبية هي لسان الشعب بما يحكي همومه وأفراحه، فهي تملك ذلك الارتباط المادي والعقلي والروحي بالمجتمع، وإبداع صادر عن الفكر الوجداني يشترك فيه الأبناء ويمارسونه في

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ص 5546.

[2] - موريس بورا، الغناء والشعر عند الشعوب البدائية، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1992م، ص16.

[3] - ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر: أحمد رشدي صالح، دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1996م، ص235.

[4] - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص237.

مناسباتهم الاحتفالية[1]، وهي ركن من أركان ثقافتنا وصفحة تعكس العديد من عاداتنا وتقاليدنا، فلها الفضل الكبير في ترجمة الكثير من الأنماط المعيشية فهي تأخذنا في مركبة الزمن، لتترجم لنا الحياة اليومية ووظائف العديد من الأنظمة التي بفضلها اكتشفنا أن بعض الأنماط التقليدية لازالت تحتفظ ببنيتها في المجتمعات، ومنها المجتمع السوفي الذي يعتبر الغناء فيه الناطق الرسمي باعتباره استطاع المحافظة على الكثير من ملامح الثقافة السوفية، وعكس لنا العديد من المراحل التي مر بها السوفي عبر التاريخ فالمحفل السوفي برزت فيه الأغنية مصاحبة لرقصات سواء بالإيقاع أو دونه حاملة في طياتها مشاعر وأحاسيس المؤدي، وقد عرف المحفل السوفي باسم" الموقف* "خلال تأدية الأغاني فيه وهناك أغاني يؤديها الرجال وأخرى النساء سواء بالإيقاع أو غيره ، تميزت بعدة طبوع غنائية ملحنة بألحان تميز المنطقة عن غيرها تحمل في طياتها قيم ثقافية للمجتمع[2] وأهمها:

أ–موقف النساء في المحفل السوفي: من الأغاني الرائجة فيه :

وَصَّلوا على رَسُولْ الله وَزِيدُوا بِالصَّلاةِ عَلْيه

بُورْكَتْ هَاذَمْ الحُجَاج يُدومْ الفرحْ لِمَّالِيهْ

هيَا نَحْدَرُوا للوادْ نتحدثُوا حَدِيثْ جَّوادْ مَا فَهيشْ الغُرِيا

يَا لَالةْ نَايا حْلَفتْ بِراسَّك وَأنتي عَيطِي بَيْا

وَصَّلوا على رَسُولْ الله وَزِيدُوا بِالصَّلاةْ عليه

أمي سَمتتي حُوتهْ وَالحُوتْ في لبْحر عَوامْ

يَا لَاحقْ بنَّات النَّاسْ عَلاشْ تَطُولْ في لايامْ

وَصَّلوا على رَسُولْ الله وَزِيدُوا بِالصَّلاةِ عَلْيه

هيَا نَحْدرُوا لِلعين نَتْحدثُوا حَدِيثْ زينْ

[1] - ينظر: القباب، مجلة ثقافية تصدر عن دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي، العدد 09، 2009، ص60.

[2] - المرجع نفسه، ص75.

* الموقف: هو ضرب الطبل (لفرح) بإيقاع الرداسي مع أداء رقصة النخ والأغاني، والذي يؤديه يكون واقفا.

يَا طُفلةْ عَجبني زِينكْ وَأنتي غَريتي بِيْا

وَصَّلوا على رَسُولْ الله وَزيدُوا بِالصَّلاةِ عَليهْ[1].

ب-موقف الرجال: ويكون الغناء فيه بهز الصوت فقط دون إيقاع، ومن الأغاني نذكر:

العرسْ بِيْغي الدِويلةْ وَالخِيلْ تِبغي المَشْالي

وَاللَّي خَرْج من القَبيلة يَرخصْ حتَّى كَانهْ غَالي

يَا بَنيَّة عَمي كَواني دَاكْ وَحَزامكْ مِثْلْ الجِريدةْ

مَا عَرفتشْ مَنِينْ نَبداكْ بَاشْ نَقلكْ أخضَّيني جَتني صِعيبةْ

على حَمراء وَزادوكْ وشماتْ وَطِويلةْ وَزادُوكْ رقْ الحواجبْ

هَذا اللَّي يقلكْ هَلالْ مَا بينْ زُوزْ نَجُومْ

لَاني مَنْ رَمضانْ صمتهْ وَلاني مَنْ ناسْ فَاطرْ

شَهواتْ بِالهَذبِ وَكَوتني مَانِيشْ دَاري

نَرْحلْ وَلَا نحملْ الذَّلْ وَيزيني مَنْ كَلام الرازيْ

وَقلبْ بنَّادمْ كِالوْادِ اللَّي حَملْ وَضَّجَعْ وَخلِي كانْ احَجارهْ[2].

ج- الإيقاعات الفنية المعروفة في المحفل السوفي ومنها:

-**الرحبي*** : ويكون مرفوق بالزرنة في المحفل:

حبْ العَاشِقْ فَات شَاهاتْ يَا بَاهي اَلْرَشْاتْ وَمَا دِيْر مِزَية حَواجبكْ لْونِينْ زَي اللَّي حَسْينْ

يُحْكَمْ في البَّرينْ صَباح وعشيةْ عُيونكْ حَرباتْ كيما اَلْجَعْباتْ اَلشّحمْ مَاتْ

مَا شيبحْ ضَيَاتْ يَا زِينْ الخَرطُومْ يَاخذ المشُوم فَزتْ قَبل الصومْ

وقتْ الطَيَاتْ فَاح للعريسْ هَديةْ قِصة فوق الجبينْ تَحلى فيها العينْ

مَيصُور جبرينْ غَفار السيةْ حَذاك بَرلاحْ في الصحراء لواحْ

---

[1] - خيرة بوخزنة، 82 سنة، الدبيلة، 2020/06/24م، ساعة 10:25 صباحا، توفيت يوم 2020/07/07م.

[2] - حنافي الجيلاني، 74سنة، سيدي عون، 06/23/ 2020م، الساعة 8:40 صباحاً.

* الرحبي: اسم مشتق من الترحيب بالضيوف، وكلمة الرحبة تعني المكان الفسيح الذي يسع لأداء هذا الاستعراض الفني في المحفل.

لاهتْ لَرياح أمطاْر وبَحريةْ روح يا قصابْ قصب غربي وهيا[1].

-**الطواحي***: ويعبر فيه المؤدي عن معاناة بسبب الانفصال عن شيء ما، فيكرر أول مطلع من القصيدة بالصوت الممدد نفسه حتى يشعر أن السياق الاجتماعي قد تعاطف معه، وبعد أن كان يؤديه وحده يتزايد عدد الأفراد الذين يكررون معه مطلع القصيدة، ليتقدم من الحفل رويدا رويدا ليقترب من الفرح (الطبل) والفتيات اللاتي سيؤدين رقصة النخ، وعندما يصل الطواحي إلى مبتغاه في إشعار الجمهور الحاضر بمحنة المؤدي وأصبحوا مستعدين إلى الإنصات لقصته أو قصيدته[2]، ومثال ذلك:

نْعَاني في لَسْهَارْ لاْ نُرقدْ ساعة من صاحب جعَّار** عينيهْ ليَّاعة
سَهْرانْ يا لحبَابْ عيني عاسَّه لجالي الدَّرك*** حتّان عُمْري هانْ
جَاحدْ كَلامي في ضَميري داسَّه على منْ خَدعْني وخانّي بْلامانْ
بطَّال ما ندبَّر دَبَاير خاصَّه وْبَطَّالْ ما نشركْ عم الخيَّان
وقَابضْ لْسَاني عَ الخليقَة كاسَّه**** وجَاري على طُول المدى مُطْمَانْ
لاَ نَتْرضي بالخَايْبَه والنَّاقْصَه وقَاتلْ تُرُعْ النَّفْسْ وَالشَّيطانْ
وَالرَّزقْ منْ بَالي زَهَدْتَهْ رَاخْصَه مشى في سبيلْ الله والضيَّفَانْ
لَيَّامْ يَا خُوتي عليَّا عَاكْسه والنَّصرْ غيَّب لاَ ظَهَرْ لاَ بَانْ
حَوَايجْ بْيُوعي في الدَّلاَلَة وَاكْسَه وَالصبَّرْ للْمُولَى عظيمْ الشّانْ
جْرُوح الجُّوَاجي في الضَّماير نَاكْسَهْ عَلَى زُولْ مَنْ تَلْبَسْ مْعَ الْمُرْجَانْ
يــشْكي بَاوْجــاعــه ســاهرْ طُـولْ اللَّــيلْ

---

[1] - محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الولائي السوفي، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، د ط، د ت، ص29.
* الطواحي: من طوحت به الطوائح أي قذفته إلى الأرض لا يعود منها من فرط البعد، والتطويح بالصوت أي تمديده إلى أقصى ما يمكن التمديد.
[2] - عروس البوادي، 74.
**جعَّار: خجول.
***لدركّ: الضيم ألم.ومعاناة.
**** كاسه: من كسَّ الشيء دقهُ حتى قطعه وكأنما قطع لسانه فلا يتكلم

مَا نُــرْقُدْ ساعـــه منْ صَاحبْ جعَّارْ عينه لياعة
سَهْرانْ يَا لَحْبَابْ عيني حايْرة حَسَّيتْ ريقي في الّلها مُرَّارْ
هَلاكْ البْنادمْ من فعيل دَبَايْره مَكْتُوبْ في وَسْطْ الجبَّين أسْطَار[1].

وختم قصيدته بقوله:

وْيا بُرْكُة البَشير واللّي زايْره يغْفر ذْنُوب اللّي يَسَمعَو حُضَّارْ
ذْنُوبي ممْحيَّة بُرْكَة سيدْ النَّاسْ وغَفيْر السَّيَّة وْنَفْسي والشَّيطانْ
دَارَو خَلْويَّة نَعْصيهُم لَثْنينْ لاَ يْشُوفُو طَاعة نعاني في لسهارْ
لاَ نرقُد ساعَة منْ صاحبْ جَعَّارْ عيـنـــهْ لَيَّـــاعَة[2].

ففي القصيدة يصف الشاعر عن معاناته لفراقه عن محبوبته التي لم يجد منها استجابة، فيجد تعاطف من الجمهور المستمع ويكتسب مصداقيته فيؤثر فيهم ومواساته في محنته.

-**الردس والرداسي:** كثيرا ما يخلط بينهما والسبب في ذلك أن كليهما تقوم عليهما رقصة النخ، إلا أنه بينهما اختلاف يتمثل في:

فالردس يؤديه الشعراء والنخاخات وقوفًا، بينما يؤدى الرداسي في وضعية الجلوس، والسبب في ذلك أن الردس لا تطول به المدة ويكون الضرب على الفرح (الطبل) بين فترة وأخرى ويكون فيه وظيفة تواصلية بين المؤدي والمؤدية لرقصة النخ، بينما الرداسي فالمسافة الزمنية بين الضربة والضربة تتقارب حينا وتتباعد حينا آخر حسب رغبة المؤدي في التواصل مع النخاخات[3]والتواصل يكون عن طريق الحركة والإيماءة أو الابتسامة، وقد يطيل الشاعر في الردس مما يؤدي به أن يحول اللون إلى الرداسي وهي أبيات ثلاثية الأشطر نحو ذلك:

غَثِيتْكْ صَّلب طَاح أحضانْ أسودْ يَدكانْ ظَلِيمْ يَرتع في بِر بعيدةْ
القَّصة مَكْبُوبةْ كبـانْ فوق مَ لْجَفانْ مُشطاتهْ طَاحت مَصْاليِبْ

[1] - أحمد زغب، سمياء الشعر الشفاهي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2015م، ص118.
[2] -المرجع نفسه، ص122.
[3] - الوادي عروس البوادي، ص76.

وَشَامكْ كِي خَط القُرآن تَنزيل اسيانْ خَطبه طُلبهُ يَوم العيدْ

عينْ دَقْرة من الطَلَيانْ تَلْحَطْ لحطانْ يَبدُوها يومْ مَغادِيدْ

خَدك برقْ البِينْ أُمَزانْ في سبتمبر بَانْ حَيا الصحراءْ عَقب التَّجَبيدْ[1].

ففي هذه المقطوعة من الردس نجد المؤدي يصف مظاهر الجمال الحسي للمرأة (غثيثك بمعنى الشعر الطويل، القصة مكبوبة يعني الشعر القصير على الجبين، شامك ...)، كما ذكر صور جانبية للبيئة الصحراوية.

الرداسي: ومنه هذه المقطوعة:

فَرْحْ الرَّزَمْ كي لفنْ لَهْ حَرايرْ...

بَدَا الْفتنْ ثَايرْ ...

فرْح الرَّزمْ كي ضَرَبْتهْ بيدي

وتْهز وريدي

ولله يا بنتْ هزَّي وزيدي

لبستْ الحُولي حْزَامَهْ جريدي

ونِي لاَثْ رِيقي

ونصبر على اللي حكم بيه سيدي

ولا يربح الحازرك ها لمغيدي

حطُّ القمايرْ

كما عَسَّ قُبطان عَنَّهْ دُوَايرْ

فَرْحْ الرَّزَمْ كي لفَنْ لَهْ حَرَايرْ[2].

وصف المؤدي الفرح (الطبل) الذي يعد أهم آلة موسيقية تقام عليها مقطوعة الرداسي وأشار إلى الحرايرِ (الفتيات النخاخات) ووصف لباسهن وطريقة أدائهن لرقص وخصص مناداته لفتاه

[1] - الوادي عروس البوادي، ص77.
[2] - أحمد زغب، سمياء الشعر الشفاهي، ص99.

بعينها (يا بنت)، وأشار كذلك إلى بعض العناصر الغائبة لكنها حاضرة اجتماعيا كالحزار والعساس.

ومن الأغاني الذي تقام في أفراح على إيقاع الرداسي:

نْشَهرْ فِي بنت القدَّاسي يلي زِينَها مَا رِيتَاشي

نْشَهرْ فِي زَهايْر زَّينْها مَا رِيَتْلاَهْشيي مِثْايَلْ

واللَّي شَبْحَها قَعْد حَاير متعذبْ مَنَّها مَنهاشْ

نْشَهرْ في الخُودةْ بَنْتِي تِضَّوي كِالعنوةْ

مَلا عرادْ هي سِمحةْ مَا كيفهاشِي

نْشَهرْ في دزاير زينها ما رِتِيلاشِي مثايلْ

واللَّي شبحكْ قَعدْ حَاير مَتعذبْ منك مَهناشِي

لبستْ اللمعة بنتي تِضَّوي كيف الشمعةْ

اللَّي شَافكْ مَكناتهْ همعةْ حتَّى سِبْيَطارْ مَا قَابلهْاشِي

مَسْمَحْهَا بِصَّقَلةْ بِنْتي رَاعْيَةْ على الدَّقلةْ

وَاللَّي شَبْحَها غَادي عَقلي فَتنشنا وَمَا لِقْيناشِي

نْشَهرْ فِي بِنتْ القَداسِي اللَّي زَيْنَها مَا رِيْتَهاشِي[1].

فالشاعر هنا أفصح عن نسب الفتاة التي نالت من قلبه وسلبت عقله، وانبهاره بجمالها الذي لم يرى من قبله مثيل (زينها ما ريتلاهشي مثايل)، وهذا دليل على شجاعته لأن المجتمع يمكن أن يعترف بعاطفة الحب هذه أو يرفضها.

ومنه فإن الأغنية الشعبية في المحفل السوفي تعبر عن كل مناحي الحياة، كما أنها حلقة متصلة ترتبط بالعادات والتقاليد وتجسد درجة التحضر والتلاحم عما تجيش به الأحاسيس والخواطر، مع تنوع وتجدد ألحانها وإيقاعاتها.

[1] - عياشي نصر الحبيب، 67 سنة، قرية العيايشة، المقرن، 2020/06/26م، الساعة 10:00 صباحا.

كما يحتوي المحفل السوفي أيضا على عناصر أخرى تتكامل مع العناصر الأساسية له من خلال الفرجة في بنية مشهديه حركية مبهجة، حيث تساهم كل منها في إضفاء طابع فرجوي تتناغم فيه الحركة الجسمية مع الإيقاع والانفعالات من طرف الجمهور والمؤدون وأبرزها:

4-المكان والفضاء: فضاء -ساحة- صحراوي مفتوح يعيد إلى الأذهان صورة الحياة البدوية التلقائية وفطرتها، ويتم تهيئة المكان برفع الحجارة وتنظيفه ورشه بالماء ليكون مهيأ لعرض المحفل، ويعد المكان من العناصر الهامة في المحفل السوفي، واختيار الفضاء ليس اعتباطياً إنما يتماشى تماماً مع النظرة الاحتفالية الذي ترى أن الحفل لا يمكن أن يتم مع الناس وبالناس، ولا يكون ذلك إلا في الفضاء المفتوح.

5-الزمان: ويكون بعد العصر أو في الليل.

6-الديكور: بيت الشعر (الخيمة) التي تعد أحد الرموز التراثية للحياة البدوية، إضافة إلى جلود الخرفان والماعز التي تبسط على أرضية ركح أرضية العرض أو تعلق على الجدران، ويكون ديكور جانب فضاء المحفل[1].

7-الإضاءة: يحرص المنظمون على أن تكون المؤثرات الضوئية حاضرة في مختلف العروض الفلكلورية وبكيفية جيدة سواء تعلق الأمر بفضاء العرض أو فضاء الفرجة، وتتم الإضاءة بواسطة مصابيح كاشفة.

8-الجمهور: يعد الحضور الجماهيري أحد شروط نجاح العروض الفرجوية التراثية، فلولاه لما كان لمثل هذه الفعاليات الثقافية وجود أصلاً، ويتألف من مختلف الفئات العمرية الاجتماعية فالجمهور يشكل حلقة واسعة لردود الأفعال يرسل العبارات للتشجيع أو للإعجاب أو لإثارة مشاعر الحماسة وأصوات معبرة عن الفرح كزغاريد النسوة وترديد الأغاني مع المؤدون[2].

[1] - ينظر: صفية عزوز، مميزات الرقص البدوي في المهرجانات الشعبية بالجنوب التونسي، ص04.
[2] - ينظر أحمد زغب، سمياء الشعر الشفاهي، ص97.

9-الحركة: تتنوع الحركة داخل حلقة العرض بين الحركات الدائرية والالتفافية، وحركات الرجلين واليدين، وكذلك حركة الرأس من خلال تأدية رقصة النخ للفتيات المتزامنة مع تصفيق الجمهور في مشهد متناغم.

10-المؤدون: لا يقتصر الأداء على الذكور فقط بل يشمل الجنسين، ويتراوح بين الأداء المنفصل (الذكور فقط أو الإناث فقط)، وأحياناً يكون مختلط بين الجنسين ويجب على المؤدي له دراية بأداء حركات الرقص متناسقاً ومتناغماً مع الموسيقى والإيقاع، ويكون الأداء سواء لرقص أو الغناء أو إلقاء القصائد[1].

10-الآلات الموسيقية: من الآلات الموسيقية التقليدية المهمة في المحفل السوفي الطبل، وهو من آلات النقر الشائعة عند الشعوب وهو عبارة عن أسطوانة أو وعاء مجوف من الخشب ويقرع بالعصا ليحدث دوياً، يكون من جذع النخلة مجوف يشد على أحد طرفيه بجلد الماعز أو النوق واستعملت العصي لنقر عليه[2] ويسمى بمنطقة سوف (الفرح)، الزرنة، البندير .... يصاحبها أداء صوتي بحيث يبدأ الصوت بطيئا من خارج حلقة المحفل ثم يتسارع مع الضرب على الفرح[3].

ثالثًا: المناسبات التي يقام فيها المحفل السوفي:

تعددت المناسبات والاحتفالات التي يقام فيها المحفل السوفي، فهناك حفلات خاصة بالعبور والانتقال من مرحلة إلى أخرى كالزواج ففيه يجتمع عدد كبير من الناس واعتراف المجتمع بهذا الانتقال، وكل عرس له مهرجان احتفالي يدعى"المحفل" بحضور مختلف الفئات العمرية للمجتمعات الشعبية، ففيه يرقصون على وقع الدفوف والبنادير والزرنة وإطلاق البارود والغناء والزغاريد، وكذلك حفل ختان (الطهور) الأطفال يكون فيه مهرجان نسوياً غنائياً ويكون فيه تجمع الناس واحتفالهم بهذه المناسبة والانتقال من عالم الطفولة إلى عالم الرجولة بواسطة تطهيره ويحضر المحفل السوفي في بعض الأحيان في الاحتفالات اخرى تستدعي تجمع الناس كقدوم

[1] - ينظر أحمد زغب، سمياء الشعر الشفاهي، ص98.
[2] - يونس عبد الحميد، معجم الفلكلور، ص326.
[3] - المرجع السابق، ص96.

الحاج من البقاع المقدسة وتقام الحضرة فيها أيضا، وهناك حفلات جمالية يستعرض فيها المحفل السوفي كموروث شعبي محلي كعرس مدينة ألف قبة وقبة وغيرها من التظاهرات الثقافية الخاصة بالمنطقة، ويتخلل كل هذه المناسبات استعراضات فنية كالرقص والغناء وارتدا الملابس التقليدية.

1-الاحتفال بمناسبة الزواج:

الزواج هو اللبنة الأساسية في المجتمع، ومن خلاله تتسامى الأسرة الصالحة، يتطلب الرضى والعشرة الحسنة والشعور بالمسؤولية بين الزوجين، وهو سكن نفساني بين الرجل والمرأة تستريح فيه النفس ويطمئن به القلب، وهو أمر شائع ومقرر في جميع أنحاء العالم[1]. وعرفه ويستر مارك بقوله:" غالباً ما تستخدم كلمة زواج لدلالة على مؤسسة اجتماعية، ويمكن أن يعرف على أنه علاقة واحد أو عدد من الرجال مع واحدة أو عدد من النساء، تعترف بها التقاليد والشرائع وتفترض عدد من الحقوق والواجبات لأطراف العلاقة من جهة، وللأبناء الذين تنجبهم من جهة أخرى، وتختلف تلك الحقوق والواجبات باختلاف الشعوب"[2]، ولكي يعرف الارتباط بالزواج، يجب أن يتم عقد طبقاً للقواعد التي تعتمدها التقاليد أو القوانين، ويمكن تحديد إقامة حفل زواج خاص وما من رجل وامراءة يمكن أن يُعتبرا زوجاً وزوجة إذا لم يتقيدا بالشروط التي تفرضها الأعراف والشرائع[3]. والزواج هو الذي يتيح للأزواج من البدو الرحل تأسيس عائلة ثابتة، وهكذا يكون الزواج مؤسسة اجتماعية تضفي على الارتباط شرعيته[4].

والزواج هو عقد شرعي رضائي بين الرجل والمرأة لحل العشرة الزوجية، وما تحققه من مقاصد حول السكينة والمودة والرحمة، وفق شروط وأركان محددة شرعاً[5]، قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ

[1]- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص193.
[2] -إدوارد ويستر مارك، موسوعة تاريخ الزواج، ترجمة: مصباح الصمد وآخرون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص30.
[3] -المرجع نفسه، ص31.
[4] -فيليب لابورت تولراوجان بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولجيا، ترجمة: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص67.
[5] - الجباري عثمان، عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف خلال القرنين 19 و20 الميلاديين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد2، ص117.

آيتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنَ أنَفُسِكُمُ أَزْواجًا لِتسْكُنوا إلَيْها وَجَعَلَ بيَنكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إنَّ في ذَلكَ لآيَات لِقَوم يتَفكَّرُونَ﴾[1].

فالزواج نظام اجتماعي وقانوني تتمثل فيه بنية الجماعة وتتجلى في طبائعها وخصائصها وهو يخضع لتقاليد وأعراف ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكها الاجتماعي والاخلاقي.

والزواج في المجتمع السوفي يلعب دوراُ مهما في بناء أركان العائلات، ويتم بتخطيط ورعاية من الأب الذي يقرر كل شيء بنفسه والأبناء يطبقون بدون مناقشة، سواء أكان من جهة الابن عند زواجه، أو البنت التي يختارها لها الأب وتطمئن إليه نفسه، ونادراً ما تكون الاستشارة للأبناء[2]، فعادات معظم الشعوب تقضي أن الفتاة التي وصلت سن البلوغ وكذلك الفتى فالأصلح لهما أن يتزوج كل منهما مع من يختار، وفي مجتمعتنا العربية يفضل الزواج المبكر، وكانت التقاليد تمنع التقاء الفتيان والفتيات إلا في حالات نادرة بسبب القيود الصارمة التي تتحكم في عادات الزواج[3]، وسن الزواج هو السن الطبيعي ويعرف بسن البلوغ، ويختلف باختلاف الشعوب لأنه يتأثر بعوامل المناخ والطبيعة، وفي منطقة سوف قديماً تتراوح سن الزواج فيه على العموم بين سن 11 و13 سنة، وقد تكون أقل من عشرة سنوات، ففي القبائل البدوية يفضل الزواج الداخلي فتسمى البنت لابن عمها منذ ولادتها وهذا ما وضحه فيليب لابورت بقوله:" .. في المجتمعات التقليدية يهدف نظام القرابة إلى تنظيم تشابك علاقات القربى العضوية، والعلاقات الناشئة عن روابط المصاهرة.. "[4]، وقد تطبق هذه الخطوبة –الخطبة بكسر الخاء والخطوبة طلب إمراءة للزواج–، بالفعل فيحدث الزواج، وفي المقابل ليست ملزمة فقد يرى والد شاب بعد البلوغ أن يتنازل عنها أو يختار غيرها.

[1] -سورة الروم، الآية 21.
[2] -علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية (1882-1954م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009م، ص341.
[3] -أحمد زغب، الفولكلور، ص133.
[4] - فيليب لابورت تولراوجان بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولجيا، ص74.

كما أن الشباب بسوف يعربون عن رغبتهم في الفتاة المعينة بإحدى الوسائل أهمها حضور **المحفل** الذي لا يقام العرس السوفي إلا به، فالفتيان يراقبوا الفتيات اللواتي يقمن برقصة النخ على إيقاع الرداسي، وإذا أعجبته فتاة يقوم برش قارورة عطر على رأسها، وهذه علامة على رغبته في الزواج منها وإشارة عدم تقرب أي شاب آخر منها حتى تتم مراسم الخطوبة، والقرار الأخير يرجع إلى الأب[1]، وإذا تكلم عنها أحد أبناء عمومها لا يتجرأ أحد حتى لو سبق وأن وضع على رأسها العطر أن يتقدم لها فالبنت كما جرت العرف لابن عمها، وبعد إتمام الخطبة يكون التحضير لحفل الزواج بفتل الكسكسي وشراء جهاز العروس وترتيب غرفتها، بعدها يعلن عن موعد العرس الذي يكون فيه المحفل، ومن المظاهر الاحتفالية في زواج صنع السخاب (المعرقة) حيث يقمن عدد من قريبات العرس بتحضيره، ويقمن بأخذه مع العطرية*للعروس في موكب احتفالي يتضمن الزرنة وضرب الطبول وإطلاق البارود والزغاريد، ومن الأغاني التي يرددنها نسوة أثناء فتح العطرية وتنظيم السخاب[2]:

رَاس خَالِي كَانْ تَعطي جَيْا عِيدْ الخبرْ وَارجعْ ليْا**

يَا قَدْ صَّارِي بِالقدْ كالِغَّرسْ القَبْلاوِي***

وَاسمرْ الَّي طَايبْ احَّمْارِي**** جَايْبنَّهمْ هَـديـــةْ

قَدْك خُوصةْ***** مَنَّقُوشةْ وَبَيْنَ اصباعكْ مغروسةْ

يَا طُفلةْ رَاهُ زَينكْ شَايدْ ******بينْ العَربْ ولمدينةْ[3].

وكذلك:

---

[1] - الجباري عثماني، عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف، ص136.

*العطرية: اشتقاق الاسم من العطر، وهي مواد الزينة التي تشكل ركيزة الهدايا (كحل، سواك، مرآة، زيوت، لوبان، بخور ....الخ)، وكذلك الملابس المعدة للعروس وبعض الهدايا لأهلها، ومواد غذائية وبعض من الحلي.

[2] -وريدة

** جيا: بمعنى المجيء، عيد: أعد الخبر.

*** قد: هيئة الجسم، الغرس: نوع من التمور، القبلاوي: الجنوبي.

**** احماري: عندما يكتمل النضج.

***** خوصة: الخاتم.

****** شايد: مشهور.

[3] -وريدة بيسي، 64 سنة، قاطنة بالوادي، 2020/06/25م، الساعة 9:50 صباحاً.

نلاحظ أن كلمات الأغنية مأخوذة من البيئة المحلية للمنطقة وتظهر بعض عادات وتقاليد المجتمع المحلي.

وفي نفس الليلة من يوم العطرية تكون الحنة، بحيث تقوم امرأة متزوجة بتخضيب الحنة للعروس وسط جو من الفرح والسرور مع ترديد بعض الأغاني منها:

حَنَّينَا الحنْاني ومزال الفْتُّول* رُوحي يا لوخْيَا يعطيك بالقبُولْ
حِنَّةْ قَابِسيةْ جَبوها التَجارْ فِيدكْ يَا البنيةْ وإنَّ شَاء الله تحمارْ
حِنَّةْ بسكريةْ جبوها التجارْ فيدك يا لوخيا وإنَّ شاء الله تحمارْ
حِنَّةْ سُوفيةْ جابوها التجارْ فِيدكْ يا البنيةْ وإنَّ شاء الله تحمارْ[1]

كما يقام حفل في بيت أهل العريس، وتقوم عمته أو خالته بوضع الحنة على أصبعيه السبابة والإبهام على صوت الأغاني مثل:

صَلَّوا على رَسُول اللهْ وْزيدُوا بالصَّلاَةْ عليه

وفي اليوم التالي من حفل العرس، ويطلق عليه"الرُّواح"من الفعل راح أي أن العروس تزف وتروح إلى البيت الزوجية في هذا اليوم، وخلاله يقام **محفل** كبير بالزرنة والبندير، وبالتوازي مع المحفل يتم عقد القران بين الزوجين بحضور كبار السن –ويكون هذا الاجتماع في المسجد غالباً ويحضره عدد كبير من الشهود لأجل مباركة هذا الزواج–، ويستمر المحفل بالرقصات المتعددة.

كما يطلق على هذا اليوم باسم "الفتول"[2]، ويتخلل ذلك غناء يبكي العروسة لفراق أهلها وفيه وصايا ثناء عليها:

نَّوصيكْ يَا بنتْ لْجَوادْ خَيارْ الوصايْا ثلاثةْ
العقلْ وَكتمانْ السَّرْ وإلاَّ وجدتْ الهشاشةْ

1- وريدة بيسي، 67، قاطنة بالدبيلة، يوم 2020/06/25م، الساعة 9:05 صباحاً.
* الفتول: زيت معطر يدهن به شعر العروس، ثم يفتل جدائل بواسطة خيوط من الصوف حمراء وخضراء، وبعدها تنزع هذه الخيوط من شعرها ويعطى للفتيات العازبات للتفاؤل بالزواج.
[2] - ينظر: الجباري عثماني، عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف، ص121.

نَّوصيكْ يا بنتْ لجَّوادْ خيارْ الوصايا ثلاثةْ

سلفكْ وعمكْ وراعيكْ لاَ تبيني لِيهمْ قباحةْ[1].

ومن أغاني الفتول أيضاً:

يَا نارْ الجِريدْ* وَيَا دُخانهْا يَا وَحشْ لَبنيةْ على جِيرانهْا

يَا بابا حَنْنِي لِيشْ أَعطِيتني بِحالْ لاَنِي بِنتكْ وَلاَ رَبيتني[2].

وفي الثناء عليها يقلن:

هي قُمَرْ وأمّهَا شَمْس وخُوها ذيَابْ الهْلالي

يَا ظَافْرةْ خُمْسْ في خُمْسْ يَا غَالْية بنتْ الغالي

بعد الانتهاء من الفتول يوضع على رأس العروس البخنوق بالإضافة إلى المنديل الأحمر الذي يغطي وجهها أثناء الفتول وتحضيرها لرواح، يتجه موكب من بيت العريس لأخذ العروس ويتكون هذا من الموكب من جمع غير من النساء يتقدمهن مجموعة من الرجال يعزفون على الزرنة[3]، أو يغنون المربوع وهي رباعيات تنشد في شكل هتافات مثل:

يَا هَا رَقْايِسي يَا هَا هَا

يَا بُوهَا الرَايسي يَا هَا هَا

تَربح شَاكي مَضَّنْونِي أهَا أهَا

شِيْخة رَمْقة الطِيرْ

عَقلي أَداتُو أمْ الخِيرْ

سَالتْك يَا عَالِي الدَّرجَاتْ

نَايا في فَضلك نَرجْى

[1] - أحمد زغب، الفولكلور، ص147.

* الجريد: سعف النخل، أو قضبانه المجردة.

[2] -خيرة بوخزنة، 2020/06/24م، الساعة 17:10 مساءا.

[3] -أحمد زغب، الفولكلور، ص147

خَالقْ سَبع سمواتْ خَشْاشْ بَحُورْ العومةْ

خَشْاشْ بَحُورْ العومةْ

هَاذي سِبايبْ مَسعودةْ[1].

أما موكب النساء فيكنّ في الخلف بالزغاريد حتى يصل الموكب لبيت العروس، وتغطى العروس بلحاف أبيض ويديرونها سبع مرات وكلما اتجهت إلى جهة القبلة يرددن: اللهم صلي على النبي، بصوت جماعي صاخب وبعد وجبة العشاء تحمل العروس على الجحفة (الهودج) ومعها طفل صغير لا يتجاوز عمره 6سنوات استبشاراً لإنجابها ذكر في أول حمل، ويعود الموكب على نفس الصورة التي جاء بها –زغاريد وزرنه ومربوع ...الخ–، وعند وصول العروس لبيت زوجها يصب الماء على قدميها، ويقدم لها كوب حليب تغمص يداه فيه وحبات تمر تلصقها العروس فوق بابا غرفتها[2] –دلالة على حلاوة الأيام واستمرارية حياتها الزوجية، أما الحليب يرمز إلى خصب والوفرة والخلود والنقاء– والنساء يردد الأهازيج التي تتفاءل للعروسة بأن تعمر بالرفاء والبنين:

دَاقَّة لَوْتَـادْ وْجَايْبَهْ لَـوْلادْ

جَايْبَهْ لبنْتَّه والقْطَاطي* ستَّهْ[3].

وفي اليوم الموالي يوضع حزام العروس وسط زغاريد وأهازيج وأغاني تراثية، وحزام يضعها طفل اسمه محمد أو علي ويقوم القريبات بوضع النقود بين حزام وخصر العروسة، بعدها تكون عادة "الكبوب**" وهو ذاهب العروس لبيت أهلها لتسلم عليهم وتقدم لهم النقود والهدايا والعطور[4]. وهناك بعض مناطق بوادي سوف اليوم السابع من إقامة العرس يطلقون عليه اسم "الوردان"، ففي صباح هذا اليوم تلبس العروس الحولي الأبيض ويغطى وجهها بمنديل أحمر ويحضر لها رحى

[1] -أحمد زغب، الفولكلور، ص148.

[2] -. ينظر: الجباري عثماني، عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف، ص123.

*القطاطي: جمع قطاية، وهي جدلية من الشعر بها الخيوط.

** الكبوب: من الكب وتقبيل الرأس.

[3] - المرجع السابق، ص149.

[4] -عائشة زعبي، 58 سنة، قاطنة بالدبيلة، 2020/06/27م، الساعة 18:02 مساءا

تقليدية وتجلس أمامها وتقوم برحي القمح الذي يطبخ به الغذاء لأكلة الدشيشة* وتوزع على الجيران، أثناء الرحي يتم ربط ركبتيها بحل من طرف أحد الصبية اسمه محمد أو علي –هذه العادة ترمز للحفاظ الزوجة على بيتها وتبقى فيه وسيطرة زوجها عليها– بعدها يأتي العريس حاملا الحلوى والجمار** والقمح المحمص وينثره على العروس وهي ترحي ويقوم الأطفال بالتقاط تلك الحلويات والفتيات يلتقطن حبات القمح، وفي المساء تتجه العروسة إلى أحد الغيطان حاملة جرة ماء فارغة على كتفها رفقة موكب احتفالي من الزغاريد والغناء وعند الوصول تقوم العروسة بمليء الجرة من البئر وتجمع أزهار مختلفة وترجع بها إلى البيت الزوجية وتدور في ساحة البيت سبع دورات حتى تتناثر الماء والأزهار في البيت دون كسر الجرة على صوت طلقات البارود[1].

ففي هذه العادات والتقاليد دلالات منها أن القمح مصدر رزق لكثير من الشعوب، والتقاط الفتيات له دلالة على جلب الحظ وتعجيل زواجهن، ورقم سبعة له قيمة في الإسلام.

وعليه فأعراس منطقة سوف لها نكتها الخاصة، فبرغم تأثير المنطقة بالحضارات المجاورة وحياة المدينة المحاطة بها إلا أنها لا تزال محافظة على طقوس الزواج المتأصلة ضمن عاداتها وتقاليدها، إذ مازالت العائلة السوفية متمسكة بالنمط القديم للأفراح السوفية التي لا تقام إلا بالمحفل الذي يجتمع فيه الفتية على إيقاع الزرنة والبندير، ولا تغادر العروس بيت أهلها إلا والمحفل السوفي يرافق كل أيام حفل الزواج.

*الدشيشة: أكلة شعبية عبارة عن شربة قمح.

** الجمار: لب النخلة ويكون حلو المذاق.

[1] - بشيرة فائزي، الدبيلة، 2020/06/27م، الساعة 18:40 مساءا.

2-احتفالية الختان: الختان هو الذبح الأصغر للعضو التناسلي وهو طهور بالدم، فقد كان شعوب الشرق القديمة الختان عندهم استرضاء الآلهة بإراقة الدماء، وقد أظهرت النقوش الفرعونية أن المصريين القدامى كانوا يجرون عملية الختان باعتبارها طقساً دينياً فهي تجرى في المعبد بإشراف الكاهن واعتبروها من عوامل نظافة البدن، كما مارسه السومريون والبابليون والآشوريون، أما في الديانات الموحدة فاعتبرت عملية الختان حفظاً للعهد بين الرب والإنسان[1].

كما أن الختان إجراء صحي وذات قيمة علاجية ضرورية ولا يمكن علاج آخر يمكن تعويضه[2]، وسمي الختان بالطهور أو التطهير وهذه التسمية شائعة في معظم الأوساط العربية، فالختان يمثل تطهير للطفل؛ أي ترقيته إلى مرتبة اجتماعية أعلى فهي طهارة الروح والجسد وطقس تأسيسي لرجولة الطفل المستقبلية، وقد أولته الديانة الإسلامية أهمية مع أنه لم يذكر في القرآن الكريم إلاّ في بعض الأحاديث النبوية التي ذكرته واعتبرته من الفطرة وعطفته على مظاهر النظافة الأخرى، منها " الفطرة خمس: الختان وقص الشارب وتقليم الأظافر .... "، ومع ذلك يشيع الاعتقاد لدى المجتمعات الإسلامية أنه من الدين ويعتبر عملية ترمز إلى الطهارة الروحية[3] والرجل لا يعتبر طاهراً إلا إذا أجريت عليه عملية الطهور[4].

ويحتفل بالختان في منطقة وادي سوف لمدة ثلاثة أيام متتالية بالغناء وقرع الطبول والزغاريد، وعند العائلات الميسورة الحال أو عائلة طال انتظارها لمولود ذكر بعد الإناث يكون المحفل حاضراً خلال حفل الطهور بمختلف رقصاته، فالطهور يشبه حفلة العرس حيث تقام فيه الولائم وتذبح فيه الذبائح ويتوافد المعازيم من الأهل والأصدقاء وقد تجرى عملية الطهور في مناسبات مختلفة كزواج أحد الأقارب أو في المولد النبوي الشريف أو ليلة القدر وغيرها.

---

[1] -نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب في محافظة رام الله، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009م، ص175.

[2] - أحمد زغب، الفولكلور، ص120.

[3] -المرجع نفسه، ص121..

[4] - نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية، ص161.

.

وأيام الطهور بمنطقة سوف أولها نصب الراية*، ويقمن النسوة بالإنشاد عليها بالصلاة على النبي وغيرها مثل:

سَبّقت رَبي والصّلاة على النّبي من سَبّقْ الله يا مُحمّد يا عَلي

سَبّقْنَاكْ وما سَبّقنا حَدّ مْعَاكْ هَاا يـــا ربَّي[1].

وبعض الأغاني أيضا:

نْدير لوْليدي رَاية وزغاريدْ من لُوحة لفجَـــــارْ

يجيـــوني بنات الدَّايـــة** اللّي عَنّي بعدنْ بالدَّارْ

نديرلك راية وشتنوف وصغـــــار تشـــوف

نديرلك راية وجلابْ ونْلم الوالي حُضَّارْ [2].

بعدها تنصب الراية عند مطلع الفجر فوق سطح البيت من طرف أحد شباب البيت جهة الشرق.

ثم يوم التلبيس ويطلق عليه "الجْلَابْ"، حيث يتجمعن النسوة لصنع الجْلَابْ وهو قلادة خاصة بالختان مصنوعة من القماش الأبيض ويحضرن أعشاب معطرة كالزعفران والقرفة والجاوي والسرغين ....وغيرها ويأخذن في خلطها ودقها على إيقاع الأهازيج والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد الإتمام من خلط تلك المواد يقمن بوضعها في عدد من الصور ست صرر بالقماش الأبيض والسابعة بالقماش الأحمر وسطها الكمون، بعدها يتم صبغها بماء الزعفران فتصبح صفراء اللون إلا واحدة تبقى حمراء، ثم ينظمن هذه الصرر في خيط طويل مفتول أبيض وفيه شريطين أحمر وأخضر يكون بمثابة قلادة ويربطن عليها بعض الصدف ويلبسنها لطفل

*- الراية: أخذ عصا من جريد النخل حوالي متر ونصف المتر، فيها خيوط بيضاء وحمراء وخضراء

[1] -خيرة بوخزنة، الدبيلة، 2020/06/27م، الساعة 11:00 صباحا.

** الداية: يطلق على الجدة، وذلك لتعظيم مكانتها.

[2] -ساسية فريجات، واد العلندة، 2020 /06/23م، الساعة 8:50 صباحاً.

ويلطخن على جبينه الفحم ويلبسن فوق رأسه طربوشاً أحمر[1]، ومن بعض الأغاني التي تنشد بمناسبة صنع الجلاب:

إنَّ شاء الله ندير القدوارة* إن شاء الله ندير القدوارة

إن شاء الله ندير القدوارة تلبسها لباس الرجَّالة

جَهَّزْتي انتي وأخواتك كَمَّل عنّك مُولانّا

إن شاء الله تْديريلَهُم جلاب ويكَمْل فتّاح البابْ

العبْد اللّي كمّلهْ سيدي تستحمد فضله وتزيدهْ[2].

وفي بعض المناطق –مثل الدبيلة– وقبل المغرب بعد تجهيز الطفل، تحمله الفتيات ويذهبن به إلى المسجد أو ضريح ولي صالح وتطوف به الشوارع أيضا، وهن ينشدن بعض الأهازيج الشعبية من أجل دفع العين والحسد ومنها:

اللَّهم صلى على النبي اللَّهم صلى على النبي

حوته تمشي وحوته تجي

يَا لَمْطَّرْ زُوجْ أولاد

خمسة في عيون الحساد[3].

وصباح اليوم الثالث تكون فيه عملية الطهور، حيث يتم تجهز الطفل وإلباسه القدوارة والجلاب والطربوش الخاص به ويجتمع جميع الأهل والأقارب والجيران، ويحضر الطهار ليقوم بعملية ختان الطفل ويأخذ النسوة بالضرب على الدَّف والغناء بصوت مرتفع حتى لا تسمع الأم صراخ ابنها أثناء عملية الختان:

طَهَّرْ يا لمطَهَّر صحَّحْ الله يْديك ما تَجرحْ وْليدي لاَ نَغْضب عليكْ

[1] - أحمد زغب، الفولكلور، ص125.

* القدوارة: وهي جبة بيضاء تصنع من القماش.

[2] - ساسية فريجات واد العلندة، 06/23/ 2020م، الساعة 90:00 صباحاً

[3] - وريدة مليك، 67، قاطنة بالدبيلة، 2020/06/24م، الساعة 16:50 مساءا.

الطهّار جانَا وجا بجبيرته وُاللّيلة السَّعيدة عند أمَّيمتهْ[1].

بعدها يرجع الطفل إلى حجر أمه وتستقبل المهنئات والهدايا، ومن العادات أن يكون للأسرة طهار واحد يختن جميع الإخوة، بل وأفراد الأسرة الكبيرة من طرف ذات الشخص.

وقد تكون الأم بعيدة عن ختان ابنها بسبب طلاق أو ما إلى ذلك، ويحتفظ الأب بالولد الرضيع ويحرمها من رؤيته أو حفل ختانه فتتألم وتبكيه بكل حرقة، مثل ما بكت فاطمة بنت علي الشعبانية رضيعها أحمد ووصفت حفل الختان الذي وقع في غيبتها، وقالت في وصفها الصادق[2]:

احَّوارْ اللَّي غرّد مجروحْ يبكي بدمهْ في شَوشتْه محضْروشُي أمُه*

غردْ بصوتهْ حين الجابُو كسْوتَهْ واجَّلابه لا حَضّرتْله أمُه لا دَادَا**

يا لنَّدارا كيفْاش كبَّسنَّه***

شْاش الخاطرْ وطاحت ادموع علخُدود تتقاطرْ

الغَّناي ما يفهمه كانْ الشاطر ولى طَالب حافَظ حُروف الملَّة

يا الله يا نَّسوم الخْاطَّم ني نّسَالكْ تجيبشْ خَبر عنهُ.

ويحضر المحفل السوفي بمختلف رقصاته المختلفة في الساحات أمام البيت، مع المحفل النسوي المقام داخله، وهكذا يكون الختان مهرجان احتفالي يشارك فيه الجميع بمختلف عاداته وتقاليده.

---

[1] - وريدة بيسي، 2020/06/25م، الساعة 10:00 صباحاً.

[2] - علي غنابزية، ص336.

* احوار: (هو الحوار) ولد الناقة قبل أن ينفصل عنها، وشبه به الطفل الصغير الذي يكون عادة ملازمًا لأمه./ غرد: وهي أصوات الإبل على اختلاف أنواعها، وهو صوت فيه حزن وأنين، وهنا شبه الولد الجريح في بكائه بالحوار المغرد عن غياب أمه –تشير إليها عبارة ما حضروشي -.

** الجابوا: بمعنى جلبوا وأحضروا./ دادا: لفظ احترام يطلق على الأم والجدة مثل الداية.

*** يا لندرا كيفاش كبسنه: يا ترى بماذا مُسك أثناء عملية الختان.

3-عرس مدينة ألف قبة وقبة: يعد عرس مدينة ألف قبة وقبة من أقدم التظاهرات التي عرفتها المنطقة، والذي كان يسمى آنذاك بالأسبوع الثقافي والاقتصادي لولاية الوادي، وتساهم كل الفعاليات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في تنظيم هذه الاحتفالية وتفعيل هذا النشاط الذي ينعش المدينة على مدار أسبوع كامل، وهو يعد أكبر تجمع ثقافي واقتصادي. يشارك فيه عدد كبير من ولايات الوطن من خلال مختلف المعارض التجارية التي تبرز الصناعات التقليدية والحديثة إلى جانب معارض للكتاب والفنون باختلاف أنواعها.

وتعيش المدينة عرسا حقيقيا يستمتع الجمهور فيه بعروض فنية ممتعة لعدة فرق فولكلورية التي تنشط مختلف الساحات العمومية مما يضفي حركية غير مسبوقة تقضي على الحياة الروتينية في سائر الأيام، ومسابقات للخيل والجمال حيث يمتزج المشهد بين الفرجة والضحك، بالإضافة إلى فقرات ونشاطات رياضية مختلفة.

وعلى غير العادة تخرج النشاطات من حيز القاعات إلى الهواء الطلق حيث تكون للفرجة نكهة خاصة وحضور متميز للجمهور المتعطش لمثل هذه التظاهرات الاحتفالية لتتحول أكبر الساحات بالمدينة إلى لوحة فنية يستمتع بمشاهدتها كل الحاضرين، فتنصب الخيام تتصدرها الأفرشة التقليدية وفي الجهة المقابلة توجد نصبة الشاي السوفي الذي يحضر على الجمر، ليقام عليها المحفل السوفي على إيقاعات الزرنة والبندير تخلله رقصتي النخ والزقايري على شكل حلقة تبهر الحضور بروعة الأداء وخفته تتخللها أهازيج وأغاني شعبية وتراثية للمنطقة[1]، ومنها الأغنية التراثية "يا بنت العرجون":

يا بنت العَرْجُونْ ردَّي عليَّا يا كاملةْ في زين يا سُوفية
المــشْية ظــِريفــةْ والحَاجب قتَّال والحِنة خفيفة
والحُولِي سِيتْانْ زايداته سِفيفة لحزام بُوعرضِين طَيَّة بِطيّة
يا بنت العرجون ردي عليا زينَّكَ يْحيَّر خَلاَّنِي مَمْحُون وانْا صْغَيّر

1 - ينظر: عروس البوادي، ص57.

لمقاوِسْ فضَّة من بعيد اتّشيْر خَلْخَالْ بُوعرْضِين نسمَعْ ديَّه

يا بنت العرجُون ردّي عليّا[1]

ففي الأغنية مخاطبة للبنت السوفية (بنت العرجون) كناية على اشتهار المنطقة بالعرجون والتمر من كثرة تواجده أصبحت السوفية بنتاً له، والأغنية فيها غزل عفيف للمحبوبة ووصف للباسها التقليدي والحلي المعروفة بوادي سوف.

أما الوقت الحالي بالإضافة إلى الأنشطة الثقافية تنظم دار الثقافة ندوات أدبية وفكرية وأمسيات شعرية لفحول الشعر الشعبي والفصيح كذلك، وتعد مسابقات عدة في مختلف المجالات، حيث توزع على الفائزين جوائز قيمة في الحفل الإختتامي لهذه التظاهرة الاحتفالية[2].

وكذلك أغاني تتغنى بوادي سوف وتفاخر بنسبها، وتعرف الجمهور المتفرج على المنطقة رفقة الزرنة والبندير مثل: تبدأ هذه الأغنية بموال:

رَبونِي عالكرمْ وَالجُودْ وَربونِي عَنْ حُسَنْ الضيافةْ

وَربونِي عالوترْ واَلعُودْ الشعْر نَقُولَهْ بِضرافةْ

ميصلْ كُلْ سَافِي لْغُرودْ سُوفِي وَجدودي سوافةْ

ثم يدخل المؤدي في جو الأغنية:

رَبْانِي تَرْابكْ يَا سوفْ يَا صَدر الوالدةْ اَلْحْنِينةْ

مَا بين أَحضانكْ يا سيوفْ وَكر النخلْ امدفِيناْ

مَنْ صغرِي وَسادي عَالتربةْ لَمتني الدمسة والقبةْ

مَايا البيرْ وَمَنْ القربةْ وَمع العاداتْ اتربيناْ

حَلِيْبِي من ضرع المعزةْ وَزادي نابينا عزةْ

دِقلة نُور ليها معزةْ للبرانِي واللّي لينا

[1] - بشيرة فائزي، الدبيلة، 2020/08/25م، الساعة 14:20 ظهرا.
[2] - الوادي عروس البوادي، ص58.

فَاَلْصِيفْ قدوارةَ تكسيني وَشتاءْ بَرْنُوسْ يَغْطِينِي

وَالحُولِي يَمْلالِي عَيْنِي لاَبساتهْ اَلْسُوفْيَةْ الزينةْ

جُوْامَعْ عالياتْ سمعهاْ لاذناتْ منها تسمعهاْ

الوادي الزينةْ يَا مَسْمَحهاْ اَلْغُربةْ فيها مَا تَنسيناْ[1].

ففي محفل الأغنية تعريف بالتراث المحلي للمنطقة والتباهي أمام الزوار والمتفرجين به.

وتستقطب الوادي في هذا الأسبوع ضيوف عرب هاموا في عشق ترابها منذ أن حطت أقدامهم هذه الأرض المعطاءة والمضيافة أول مرة، فيبقى وفاؤهم لها دائم ورغبتهم في زيارتها مستمر، فمنطقة وادي سوف لم تعرف بفضل أعياد مدينة الألف قبة وقبة السنوية ركودا ثقافيا أبدا[2].

ومنه فالمحفل السوفي مهرجان احتفالي يحضره الرجال والنساء صغار وكبار، ويقام هذا المحفل في الساحات العامة والشوارع قرب بيت العرس، ويتخللوه رقصات وإيقاعات مختلفة يصاحبها زغاريد النساء وغناء الشعراء، وكان قديما خاص باحتفالات الزواج فقط، ومع مرور الزمن أصبح المحفل السوفي يقام في معظم المناسبات والأفراح كالختان ومجيء مولود جديد بعد طول انتظار، وكذلك في النجاحات وغير ذلك، يتخلله مجموعة من العادات والتقاليد الخاصة بالمنطقة أهمها:

-اختيار شريكة الحياة من خلال مشاهدة الشاب للفتاة وهي تؤدي رقصة النخ.

-رشة العطر على رأس الفتاة المختارة لزواج أو وضع مرحمة -منديل- عليها أو يقوم باطلاق البارود فوق رأسها.

-تراس النساء بالأطفال أولاً ثم الرجال، هذا دليل على الطبيعة المحافظة للمجتمع السوفي.

-ارتدا اللباس التقليدي لكل من الصنفين.

-تقديم الأطعمة والمشروبات المختلفة، وعلى رأس القائمة طبق الكسكسي السوفي.

[1] - الوادي عروس البوادي، ص14.
[2] - المرجع نفسه، ص58.

خـاتمة

وفي الأخير بعد البحث والجمع والتحليل توصلت في هذه الدراسة إلى نتائج متعددة ومتفرعة بتفرع عناصر البحث، وكان من أهم النتائج مايلي:

-تسبح وادي سوف في بحر لجي من الرمال الذهبية المترامية الأطراف، فهي تزخر بجمال آخاذ وسحر طبيعي، جعل منها موقع استراتجي لتوافد مختلف الثقافات عليها.

-أبدع الإنسان السوفي في بناء عمارتها وتصميم قبابها بعبقريته الفذة جعلته يتغلب على تقلبات الجو فيها، وهو نفسه الذي حوّل الصحراء إلى واحة خضراء فيها النخيل الباسقة.

-تزخر وادي سوف بموروثات شعبية وعناصر ثقافية متعددة، وذلك بسبب تركيبتها الاجتماعية المختلفة، مما جعلها تتميز بعادات وتقاليد عن غيرها من مناطق الوطن.

-العادات نمط من السلوك أو التصرف يتكرر عمله حتى يعتاد الإنسان عليه، وهي نوعان عادات فردية تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع، وعادات جماعية تنشأ تبعا لظروف مشتركة بين أفراد المجتمع.

-السمات الرئيسية للعادة تتمثل في أنها فعل اجتماعي تنتج عن تفاعل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض، ويتوارثونه فيما بينهم، بالإضافة إلى ارتباطها بنواح الأسطورة كدوران العروس حول ضريح الولي الصالح عند بعض المجتمعات، وهي تتخذ أشكالاً وصوراً متعددة في مختلف المناسبات.

-التقاليد كل ما اتفقت عليه الجماعة ودل على الماضي والقديم، وتتناقل التقاليد من السلف إلى الخلف، ومنها التقاليد الشفاهية والتقاليد المكتوبة وأخرى تنتقل بالتجربة.

-تتميز التقاليد بجملة من الخصائص تتمثل في كونها متوارثة وثابتة لا تتغير ومقصودة فهي ليست اعتباطية.

-تتغير العادات باستمرار بفعل الاحتكاك بالغير، بينما التقاليد فهي ثابتة تحفظ تماسك الجماعة فالتقليد إذن أقوى ترسيخ من العادة، كأنه سنن أقر به المجتمع، أما العادة فهي أكثر شيوعاً.

-الاحتفال تجمع عدد من الناس، بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة بفعاليات منظمة تؤدى في مناسبات معلومة ذات طابع ديني أو اجتماعي.

-يعد الاحتفال فرجة شعبية ومتعة لكل الشعوب على زمن، وذلك لما يتضمنه من عادات وتقاليد تساهم في إحداث الفرجة.

-تحتفل منطقة وادي سوف بالمناسبات الدينية، وهي متعلقة بالتقويم الهجري تكون مرتبة كالتالي: أول محرم وهو رأس السنة الهجرية، العاشر محرم ويسمى "عاشوراء"، المولد النبوي الشريف يوم الثاني عشر ربيع الأول، رجب وليلة نصف شعبان بعدها "ليلة القدر" يوم السابع والعشرون من رمضان، أول شوال "عيد الفطر"، العاشر ذو الحجة "عيد الأضحى".

-تعرف وادي سوف كذلك بأعياد شعبية خاصة بها مثل: وقوف العرجون ويكون في الأيام الأولى من الصيف، عيد العنصلة الذي يصادف منتصف الصيف، عيد الخريف الذي يصادف الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر أوت، عيد الربيع "تقيطوط" في منتصف الربيع.

-المحفل السوفي مهرجان احتفالي خاص بالتجمعات الإنسانية من كل الأصناف رجال، نساء وأطفال يرقصون على وقع الدفوف (الفرح) والمزمار (الزرنة) يصاحب ذلك إطلاق البارود ويقام هذا المحفل في الساحات الواسعة، تتخلله رقصتي الزقايري والنخ مع زغردة النساء وغناء الشعراء.

-المحفل السوفي من خلال رقصتي النخ والزقايري بلبسهما التقليدي، يعد واقعة اجتماعية لهما خصوصيتها بمنطقة سوف.

-يتميز اللباس التقليدي بوادي سوف بخصوصيات ميزته عما هو موجود في المناطق الأخرى من الوطن، لأنه روعي الذوق العام للمنطقة والظروف الطبيعية الخاصة بها

-الألبسة الرجالية للمحفل السوفي تمثلت في القدوارة، القميص، السروال والشاش، أما الألبسة النسائية فهي "الحولي" والحزام إضافة لبعض الحلي كالخلة والخلخال والسخاب والمقَّاوص.

-الرقص الشعبي يعبر عن انفعالات المجتمع، ويتحدى به واقعه فهو وسيلة تعبيرية وصرخة فنية في الأوساط الشعبية، ويتم إبداعه بشكل جماعي يشتركون في تطويره وتناقله من جيل إلى جيل مع المحافظة على جماليته.

-رقصة الزقايري، رقصة رجولية يكون فيها الرجال عبارة عن صف يحملون البنادق يرقصون بحركات متناسقة، وبين كل فترة ينزلون للأرض بالضرب الأرجل ويطلقون البارود على أنغام الزرنة، والنسوة يقمن بالزغاريد.

-رقصة النخ، ويطلق عليها كذلك رقصة "الشْعر"، خاصة بالفتيات المؤهلات للزواج وتكون بإرسال الشعر يميناً ويسار إلى الخلف والأمام على إيقاع الطبق المغلق الذي يسمى في وادي سوف بـ"الفرح" رفقة إيقاع الردس والرداسي.

-الإيقاعات الموسيقية التي ترافق الرقص في المحفل السوفي، تحمل قيم اجتماعية وإنسانية كالردس والرداسي فهي تدل على التمسك بالأرض والحفاظ عليها، أما الرحبي لترحيب بالضيوف، وحركات الانخفاض والارتفاع شكل من أشكال التعبير عن الحالات الإنسانية.

-الأغنية الشعبية إبداع صادر من الفكر الوجداني للمجتمع، يمارسونه في مناسبتهم الاحتفالية والأغنية السوفية في المحفل تعتبر النطاق الرسمي للجماعة تعكس شعورهم وأحاسيسهم من طرف المغني.

-من أهم المناسبات التي يقام فيها المحفل بسوف هي الزواج، حيث حضوره إجباري في حفلة الزواج، أما باقي المناسبات كالختان فحضوره ليس إجبارياً.

-من أبرز العادات والتقاليد في المحفل اختبار الزوجة، وذلك من خلال رش العطر على الفتاة المختارة من طرف الشاب، وهي تؤدي رقصة النخ أو وضع منديل أحمر على رأسها أو إطلاق البارود فوق رأسها في محافل الأعراس.

-إبراز المحفل السوفي في التظاهرات الثقافية كعرس مدينة ألف قبة وقبة، من أجل التعريف بالموروثات الشعبية والمحافظة عليها.

إن هذه النتائج تمثل جهد المقل، وعملاً لا يزال قاصراً لذا نوجه الدعوة إلى طلاب الأدب الشعبي للبحث في هذا المجال، وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في إعطاء البحث حقه.

ونسأل الله أن يسدد خطانا وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير.

قائـــمة

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولاً: المصادر:

1- الروايات الشفوية المجموعة من طرف بعض سكان وادي سوف بمختلف المناطق.

ثانياً: المراجع العربية:

2-إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، تالة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د ط، 2007م.

3-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الانجو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1996م.

4-أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف(ج3)، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر ط1، 2010م.

5-أحمد زغب، سمياء الشعر الشفاهي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2015م.

6-أحمد زغب، الفلكلور -النظرية، التطبيق، المنهج-، دار هومة، الجزائر، ط1، 2015م.

6-أديب أبي طاهر، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1993م.

7 -إسعد فايزة زرهروني، العادات الاجتماعية والتقاليد بين الاعتقاد والممارسة في الماضي والحاضر -عادات الزواج والختان-، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018.

8-أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الكلية، مصر، ط1، د ت.

9-جمال مجدي حسنين، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2005م.

10-الخليل أحمد الفراهيدي، معجم العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

11-أبو حامد الغزالي، المستصفى(ج2)، دار صادر، د ط، د ت.

12-زينب إبراهيم الغربي، علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها، مصر، د ط، د ت.

13-سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

14-علي الزين، العادات والتقاليد في العهود الإقطاعية، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط3، 2008م.

15-علي بن محمد السيد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د ت.

16-بن علي محمد الصالح، الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية -أكثر من 2600 مثل وحكمة شعبية سوفية-، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، ط1، 2012م.

17-عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الجوزي، مصر، ط1، 2010م.

18-عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة -المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة- مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

19-فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية 18الإسكندرية، مصر، د ط، 2008م.

20-كلود عبيد، الألوان -دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، دلالتها-، مراجعة وتقديم: محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 20013م.

21-ماري إلياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي،مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

22-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيرزآبادي، معجم العين، تحقيق: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.

23-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

24-محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دار المعرفة الجامعية، مصر ط1، 2006م.

25-محمد الجوهري وآخرون، المأثورات الشعبية -جمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية-، مطبعة الوراق، قطر، د ط، 2013م.

26-محمد فريد وجدي، دائرة المعرف في القرن العشرين (مج7)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

27-محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الشعبي الولائي السوفي، مطبعة الرمال، الوادي د ط، د ت.

28-محمد محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي -توثيق ومقترحات آفاق-، مديرية التراث الشعبي، دمشق، سوريا، د ط، 2003م.

29-مصطفى شاكر سليم، قاموس الأثنربولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1981م.

30-بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

31-نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

32-وزارة المجاهدين، مواقف الإمام الإبراهيمي (ج2)، عالم الأفكار، الجزائر، د ط، 2015م.

33-يونس عبد الحميد، معجم الفولكلور، الكتب العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

ثالثاً: المراجع المترجمة:

34-إدوارد ويستر مارك، موسوعة تاريخ الزواج، ترجمة: مصباح الصمد وآخرون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

35-ألسكندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ترجمة: أحمد رشدي صالح، دار الكتاب، القاهرة مصر، د ط، 1996م.

36-آيكة هولنكراس، مصطلحات الأثنربولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، لبنان، ط2، 1973م.

37-جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، ترجمة: عبد القادر ميهي، مطبعة الرمال الوادي، الجزائر، ط1، 2016م.

38-ريتشارد دورسون، نظريات الفولكلور المعاصر، ترجمة: حسن الشامي ومحمد الجوهري مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، ط1، 2007م.

39-فيليب لابورت تولراوجيان بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولجيا، ترجمة: مصباح الصمد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

40-موريس بورا، الغناء والشعر عند الشعوب البدائية، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1992م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

41-بلصيق عبد النور، مقومات الفرجة الشعبية في مسرح عبد القادر علولة -مذكرة الأجواد أنموذجا-، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة المسيلة، 2014م.

42-راضية جرمون، العرف الاجتماعي، رسالة ماستر، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2015م.

43-ريمه بوشايب، مسرح عبد الكريم برشيد بين الاحتفالية وصناعة الفرجة -مسرحية يا ليل يا عين أنموذجا-، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة باجي مختار، عنابة، 2009م

44-علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية (1883-1954م)، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة الجزائر، 2009م.

45-كمال بن عمر، الألغاز الشعبية في منطقة سوف -جمع وتصنيف-، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م

46-نضال فخري طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب في محافظة رام الله، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009م.

خامساً: المجلات:

47-التجاني مياطة، المحفل السوفي اتصال رمزي وفني ذو محتوى، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد04، جامعة الوادي، 2014م.

48-الجباري عثماني، عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف خلال القرنين 19 و20 الميلاديين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد02، جامعة حمى لخضر بالوادي.

49-الجباري عثماني، مظاهر العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد02، جامعة الوادي، نؤفمبر، 2013.

50-حنان عبد الفتاح مطاوع، الألوان ودلالتها في الحضارة الإسلامية، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 18، الإسكندرية، 2016م

51-صفية عزوز، مميزات الرقص البدوي في المهرجانات الشعبية بالجنوب التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، العدد34، 2020م.

52-عروس البوادي، مجلة ثقافية سنوية تصدر عن محافظة المهرجان المحلي للموسيقى والأغنية السوفية، العدد 01، 2008م.

53-القباب، مجلة ثقافية تصدر عن دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي، العدد09 2009م.

54-مريم لمام محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر تمرنة -بين الاستمرار والتغير-، مجلة إنسانيات، العدد 09، الجزائر، 2013م.

سادساً: المنشورات:

55-محافظة المهرجان الثقافي المحلي للثقافات والفنون الشعبية لولاية الوادي، الوادي ملكة الرمال الذهبية، إصدار دار الثقافة محمد الأمين العمودي، الوادي.

56-مفكرة نهاية القرن العشرين (1999-2000م)، فكرة وإعداد المطبعة العصرية، الوادي.

سابعاً: المواقع الإلكترونية:

57-أبو حسن سلاّم، أشكال الفرجة الشعبية وعناصرها في المسرح العربي من الموقع الإلكتروني: RTTP/Folkarts.Ahlamontada.net.

58-عبيد لبروزيين، مدخل لدراسة الفرجة، المجلة الإلكترونية تافوكت للإنتاج: . www.Tafukt.com

مـــلاحق

ملحق الرواة

الاسم واللقب: خيرة بوخزنة

السن: 82 سنة

العنوان: حي الوفاق – الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: أمية

المهنة: ربة بيت

توفيت يوم : 2020/07/07م

الاسم واللقب: بشيرة فائزي

السن: 59 سنة

العنوان: حي الوفاق – الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: أمية

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: وريدة بيسي

السن: 64 سنة

العنوان: الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: أمية

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: وريدة مليك

السن: 67 سنة

العنوان: الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي : أمية

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: عائشة الزعبي

السن: 58 سنة

العنوان: الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: ابتدائي

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: ساسية فريجات

السن: 66 سنة

العنوان: واد العلندة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: أمية

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: مسعودة فائزي

السن: 58سنة

العنوان: الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: ابتدائي

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: سعيدة حنافي

السن: 66سنة

العنوان: الدبيلة – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: أمية

المهنة: ربة بيت

الاسم واللقب: حنافي الجيلاني

السن: 74 سنة

العنوان: سيدي عون – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: أمي

المهنة: متقاعد

الاسم واللقب: عياشي نصر الحبيب

السن: 64 سنة

العنوان: العيايشة – المقرن – ولاية الوادي

المستوى التعليمي: إبتدائي

المهنة: فلاح

ملحق خرائط وصور خاصة لمدينة وادي سوف

خريطة موضحة لوادي سوف

خريطة وادي سوف

خريطة لمعارك حدثت بوادي سوف

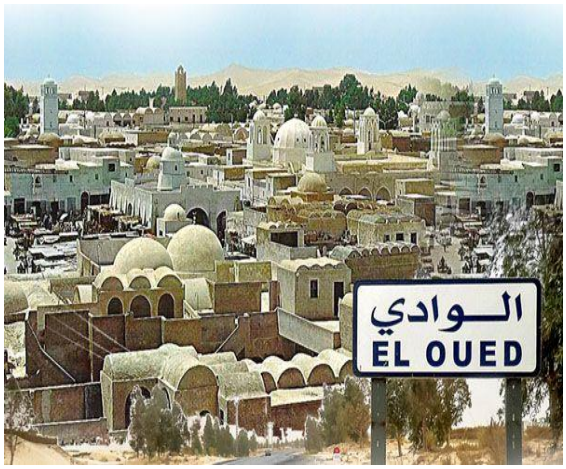

وادي سوف قديما

مركز مدينة وادي سوف

طريقة رفع الرمل لإنشاء غوط

الغوط (الهود)

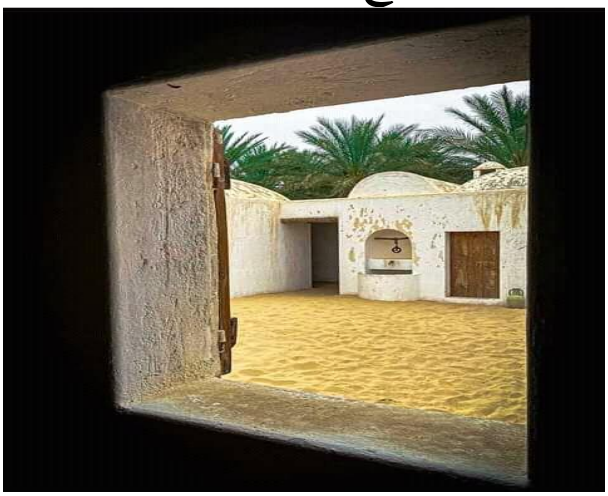

البيت السوفي الأصيل

بيت من الآثار

المسجد العتيق علي بن خزان بالدبيلة

مقر الزاوية التجانية بقمار

مسجد بقمار

مسجد أثري بوادي سوف

الغزال الذهبي

غابات النخيل بأكفادو

جامعة الوادي

دار الثقافة محمد الأمين العمود

ملحق صور

اللباس التقليدي النسوي "الحُولي"

بعض من الحلي الذي ترتديه المرأة السوفية مع الحولي

رقصة النخ

رقصة زقايري

الهودج (الجحفة)

محفل العرس

موكب زف العروس على الهودج رفقة البارود

اصطفاف الفتيات لرقصة النخ

المعرقة (السخاب)

الخلخال

بعض من أدوات الزينة

المشرف (أحد أنواع القروط)

حنة سوفية

اللباس التقليدي مع البارود

فـــرقة الزرنة

العفان

القدوارة السوفية

آلة الزرنة رفقة البندير

البارود

رجال الراقصين بالبارود والبندير

البندير (الطبل)

إطلاق البارود في المحفل

اللباس التقليدي مع البارود

تقدم الكسكسي لضيوف

اللباس التقليدي مع المرحمة والحلي

لباس تقليدي للأطفال

وضع الودعة للأطفال لدفع العين

جَّلاب

لباس الختان

المنقّر (البسِر)

طبق من دقلة نور

تمر الحمراية

تمر الغرس

اللاقّمي (عصير النخلة)

الوزوازة (مشروب الأربعون عشية خاص بفصل الصيف)

مشروب الشـــــاي

السفة السوفية

المطابيق (محاجب)

الكسكسي بالمرق الأحمر

دشيشة

دوبارة

بركوكش

طهي خبزة الملة

خبزة الملة

الغزال

سفينة الصحراء (الجمل)

ثعلب الصحراء (الفنك)

سمك الصحراء (شرشمان)

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان	
مقدمة	أ ب ت ث
الفصل التمهيدي:	6
أولاً: الإطار الجغرافي لمنطقة وادي سوف	6
1-الموقع الجغرافي	6
2-أصل التسمية	6
3-الخصائص الطبيعية	8
ثانياً: الإطار التاريخي لوادي سوف	12
1-قبل الإسلام	12
2-العصر الإسلامي	14
3-نسب سكان وادي سوف	15
4-العهد العثماني والاحتلال الفرنسي	14
ثالثاً: الإطار الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف	17
1-النظام الاجتماعي في المجتمع السوفي	17
2-النشاط الاقتصادي	20
رابعاً: الإطار الديني والثقافي لوادي سوف	22
1-الدين	22
2-اللهجة	23
3-الأدب الشعبي	25
الفصل الأول: التأصيل المفاهيمي للمصطلحات (العادات، التقاليد، الاحتفال والفرجة).	30
أولاً: دلالة العادات الشعبية	31

1-مفهوم العادات الشعبية	31
أ-لغة	31
ب-اصطلاحا	32
2-أقسام العادات	34
أ-العادات الفردية	34
ب-العادات الجماعية	34
2-خصائص العادات	35
ثانيا: دلالة التقاليد الشعبية	37
1-مفهوم التقاليد الشعبية	37
أ-لغة	37
ب-اصطلاحا	38
2-أشكال التقاليد	39
أ-التقاليد الشفوية	39
ب-التقاليد المدونة أو المكتوبة	39
ج-تقاليد تنتقل بالتجربة	39
3-خصائص التقاليد	39
4-الفرق بين العادات والتقاليد الشعبية	40
ثالثا: الاحتفال ودلالته	42
1-مفهوم الاحتفال	42
أ-لغة	42
ب-اصطلاحا	43
2-أشكال الاحتفال	44

أ-احتفالات العبور (اجتماعية)	44
ب- الاحتفالات الدينية	45
ج-الاحتفالات الجمالية	46
3-خصائص الاحتفال	46
4-الاحتفال في الذاكرة الشعبية بوادي سوف	47
أ-احتفال ختم القران الكريم	47
ب-احتفالية عاشوراء	48
ج-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف	49
د-الاحتفال بليلة القدر	50
هـ-الحج	51
د-الحضرة	51
رابعا: الفرجة الشعبية وعلاقتها بالاحتفال	52
1-مفهوم الفرجة	52
أ-لغة	52
ب-اصطلاحا	52
2-علاقة الفرجة بالاحتفال	53
3-أهمية الفرجة	53
الفصل الثاني: الدراسة التحليلية للمحفل السوفي	58
أولا: مفهوم المحفل السوفي	57
1-مفهوم المحفل السوفي	57
أ-لغة	57
ب-اصطلاحا	57

2-الشكل الهندسي للمحفل السوفي	58
ثانيا: عناصر المحفل السوفي	59
1-اللباس	59
أ-اللباس الرجالي	59
ب-اللباس النسوي	60
2-الرقص	65
أ-رقصة الزقايري	66
ب-رقصة النخ	67
3-الأغاني	69
أ-موقف النساء	70
ب-موقف الرجال	71
ج-إيقاعات الأغاني	71
الرحبي	71
الطواحي	72
الردس	73
الرداسي	74
4-المكان والفضاء	76
5-الديكور	76
6-الإضاءة	76
7-الجمهور	76
8-الحركة	77
9-المؤدون	77

11-الآلات الموسيقية	77
ثالثا: المناسبات التي يقام فيها المحفل السوفي	78
1-الزواج	78
2-الختان	85
3-عرس مدينة ألف قبة وقبة	89
خاتمة	93
قائمة المصادر والمراجع	98
الملاحق	103
الفهرس	129

ملخص:

يتمحور موضوع هذا البحث عن أهمية المحفل السوفي، وما يحمله من عادات وتقاليد تحمل في طياتها الكثير من الدلالات والرموز التي تكشف لنا عن تراث عريق يحتفظ به المجتمع السوفي.

وهي دراسة وصفية تحليلية وميدانية تتبع أهميتها من القيمة الاجتماعية للمحفل السوفي وضرورة وجوده في احتفالات دورة الحياة كالزواج والختان.

وقد استهل البحث بفصل تمهيدي يعرف بمنطقة الدراسة، إذ تعرفنا على طبيعة المنطقة الصحراوية واختلاف أجناسها التي تشكل بذلك نواة ثقافتها.

وقدمت في الفصل الأول لتأصيل المفاهيمي للمصطلحات، حيث تناولت فيه مفهوم العادات والتقاليد الشعبية وخصائصها وأهم الفروق بينهما، وكذلك مفهوم الاحتفالات وخصائصها ومفهوم الفرجة الشعبية وأهميتها وعلاقتها بالاحتفال.

وتطرقت في الفصل الثاني لدراسة التحليلية للمحفل السوفي، حيث تعرضت فيه لمفهوم المحفل السوفي وشكله الهندسي وعناصره المتمثلة في اللباس التقليدي والأغاني ورقصتي الزقايري والنخ، بالإضافة إلى المكان والفضاء، الديكور، الإضاءة، الجمهور، الحركة، المؤدون والآلات الموسيقية، ثم عرضنا أهم المناسبات التي يقام فيها والمتمثلة في احتفال الزواج والختان وعرس مدينة ألف قبة وقبة.

وقد استعنت في هذا البحث بالجمع الميداني لنصوص الأغاني الشعبية من طرف الرواة القاطنين في منطقة الدراسة.

وختمت البحث بنتائج توصلت إليها بعد دراسة حاولت فيها الإلمام بجوانب الموضوع، ومع كل هذا لا يزال البحث في حاجة لدراسة وتعمق أكثر.

Summary

The topic of this research revolves around the importance of the Soviet assembly, and the customs and traditions it bears with it carrying many connotations and symbols that reveal to us the ancient heritage preserved by the Soviet society.

It is a descriptive, analytical and field study whose importance stems from the social value of the Soviet assembly and the necessity of its presence in life-cycle celebrations such as marriage and circumcision.

The research began with an introductory chapter known as the study area, as we learned about the nature of the desert region and the different races that form the core of its culture.

In the first chapter, the conceptual consolidation of terminology was presented, in which I dealt with the concept of folk customs and traditions, their characteristics and the most important differences between them, as well as the concept of celebrations, their characteristics, the concept of popular observation, their importance and their relationship to the celebration.

In the second chapter, I dealt with an analytical study of the Soviet lodge, in which I was exposed to the concept of the Soviet lodge, its geometric form and its elements represented in the traditional dress, songs, zaqairi and nakh dances, in addition to the place and space, decoration, lighting, audience, movement, performers and musical instruments, then we presented the most important events that are held In it, represented in the celebration of marriage and circumcision, and the wedding of the city of a thousand dome and dome.

In this research, I used the field collection of texts of folk songs from the narrators living in the study area.

And she concluded the research with the results she reached after a study in which she tried to get acquainted with the aspects of the topic, and with all this the research still needs to be studied and more in depth.